كبير

1179
١١٧٩

Eman
www.liilas.com

لا أثق بك

Nahas

صادر عن دار م. النحاس

لا اثق بك

الضائقة المالية التي تمر بفيليبا جعلتها تذهب الى زوجة ابيها الاولى لتطلب منها المال لمعالجة والدها. ساعدتها مونيكا، وذلك بإيجاد زوج غني ليحل كل مشاكلها وفي نفس الوقت يحل مشكلته مع عمه.

وهذا ما حصل في وقت قصير جداً، تعرفا الى بعضهما وتزوجا. كان زواجهما صفقة، لكن للحب والرفض والألم والعذاب... كلها امور تختفي في النهاية وتنهار.

Eman
www.liilas.com

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

52-87000-34707-5

لا اثق بك

قالت مونيكا باشمئزاز: «ان رئيس شركة دي كورسي ينتظرك في المكتب. لديه عرض لك وعليك ان تستمعي إليه جيدا إذا كنت بحاجة فعلا للمال كما تدعين.»
اعتقدت انه كبير في السن، لكن هذا الرجل شاب وجذاب جدا. وعندما تكلم بدا صوته باردا وضعيفا: «إذا، انت فيليبا؟»
«نعم.» وهي تحدق به باندهاش مدركة ان حلقها جاف ونبضات قلبها تتسارع بشكل مزعج.
التقت عيناه بعينيها وقال: «سيكون الشرف لي ان اتزوجك.»
بدت وكأنها فاقدة الحس. «لكنني لم ارك في حياتي من قبل، حتى انني لم اعرف بوجودك حتى هذه الليلة.»

الفصل الاول

«لكن هذا العلاج جديد جدا! يقول الاختصاصي إنه سيكون ذا مفعول قوي على والدي... وربما يشفيه نهائيا. لكنه باهظ الثمن وموجود في أميركا فقط، وليس لدينا المال الكافي في الوقت الحاضر.»

أحنت فيليبا روسكو رأسها إلى الأمام، وثبتت نظراتها على وجه الزوجة السابقة لوالدها المتحفظ.

«مونيكا، انت ملاذي الوحيد. ساعدينا... أرجوك!»

هزت مونيكا رأسها على نحو حاسم: «هذا مستحيل. ما تطلبينه هو فوق قدرتي. لا استطيع ان أطلب من لينوكس بعض المال لأقرضه لزوجي السابق.»

توردت وجنتاها. «ولطالما كان... يغار من كيفين.»

«لقد كانا شريكين في العمل.»

«لكن هذا كان في الماضي وعلى كل حال، لينوكس يرى ان المجلس كان كريما جدا معه... هجرهم بتلك الطريقة الغريبة من أجل الرسم... وهجرني أيضا.»

أرادت فيليبا ان تصرخ: انت التي تركته! انت التي رفضت المجازفة بحياتك الاجتماعية من أجل ان يحقق والدي حلمه. ها أنت تعيشين في النعيم مرة ثانية.

لكنها لم تقل شيئاً. استطاعت ان تتذكر وجه

والدها عبر السنوات الماضية، منهكاً وحزيناً، وصوته الاجش يخاطبها: يجب ألا تلومي مونيكا ولا ان تكوني قاسية. إني أحاول ذلك. احبتنا على طريقتها الخاصة، لكنها لا تستطيع العيش من دون مال. إنها بحاجة إليه كما الناس بحاجة الى تنشق الهواء. ومن المحتمل انها ستذهب حيث المال الوفير، وسيحسن ليتوكس معاملتها.»

تأكدت فيليبا من ذلك وهي تجول بنظرها في غرفة الاستقبال الانيقة. ان بيع أي من تلك الصور او الاثريات القديمة سيمكنها من دفع علاج كيفين روسكو.

نظرت مونيكا بتململ الى ساعتها: «على كل حال، عرفت ان والدك قد نجح الى حد بعيد في رسم هذه اللوحة الثمينة. ألا يستطيع رسم المزيد ليمول علاجه؟»

هزت فيليبا رأسها شاكرة لأن كيفين لا يستطيع سماعها. «المرض، او الفيروس الذي اصيب به، تملك عضلات جانبه الأيمن في البداية ثم يجد... صعوبة في استعمال يده اليمنى، لن يقدر على الرسم ثانية.»

عضت مونيكا على شفتها: «لقد... فهمت. حسناً. حسناً، الوضع مأساوي جداً ولكن بالطبع لو أنه بقي في الشركة لكانت شركة التأمين تكفلت بكل مصاريف العلاج.»

هزت رأسها ثم تابعت: «إني آسفة يا عزيزتي لا استطيع مساعدتك.»

شدت فيليبا على يديها، قالت: «مونيكا، يجب ان أحصل على المال بطريقة او بأخرى قبل فوات الأوان. يقول الاختصاصي إنه في حال فقد المزيد من بنيته العضلية...» توقفت عن الكلام، ثم تابعت بصوت ضعيف: «سأفعل أي شيء... سأوافق على كل شروطك. سأرد لك القرض حتى لو استغرق ذلك بقية حياتي، ولكن عليّ ان احصل عليه. إذا كنت قد اهتممت بوالدي يوماً، ساعديني على إيجاد حل.»

تورّدت وجنتا مونيكا مرة ثانية، قالت: «بالطبع اهتممت. لكن ما تطلبينه غير معقول الآن. هل حاولت ان تتقدمي بطلب الى احدى مؤسسات التسليف؟»

«نعم، ولكن ليس في حوزتي أيّ ضمانة. لا استطيع حتى أن أكفل فعالية العلاج أو أن والدي قادر على الرسم من جديد.»

قالت مونيكا باقتضاب: «إني اشفق عليه، لم يتخذ أي تدابير تؤمن له مستقبله، قبل ان يتخلى عن مركزه بتلك الطريقة المجنونة.»

احتجت فيليبا: «لم يفكر بأنه سيمرض يوماً. كان يتمتع بصحة جيدة حتى الشتاء الماضي. كان سعيداً جداً...» لأن كلامها موثر جداً. رأت في

وجه مونيكا من خلال تقلص عضلاته انها تشاركها الرأي.

قالت وهي تنهض عن الكرسي: «اخشى ان اطلب منك الرحيل. سيحضر لينوكس في أيّ لحظة، وأفضل ألا يراك هنا. سنقيم حفلة على شرف رئيس شركة دي كورسي العالمية اليوم وعليّ القيام ببعض الأعمال. إنني آسفة يا فيليبا، ليس لدي ما اقترحه.»

ترددت ثانية: «قد يكون هناك علاج مماثل في هذا البلد وربما على حساب المنظمة العالمية للصحة.»

قالت فيليبا بتوتر وهي تنهض: «كلا، هذا علاج جديد كما أخبرتك. في الواقع، مازال في المرحلة التجريبية. إني آسفة لإزعاجك، لقد كنت أملي الأخير.»

كانت تهم بالخروج عندما فتح الباب ودخل منه لينوكس أندرهاي. تجمد في مكانه عندما رآها.

ابتسم لها بتهذيب: «فيليبا، أليس كذلك؟ كيف حالك؟» لكن من دون حماس، ثم رمق زوجته بنظرة ارتياب.

قاطعته مونيكا: «عليها ان تذهب بسرعة.» وضعت ذراعها حول فيليبا. «سأرافقك الى الخارج، يا عزيزتي.»

قالت مونيكا بغضب: «من المؤكد أنه سيتساءل عن سبب زيارتك. لا أريد ان أبدو فظة، إني

اشعر بمحنتك ولكنك تعقدين الأمور أحياناً.» قالت فيليبا بهدوء: «ما كنت قد جئت الى هنا لو لم أكن يائسة تماما.» ثم ناولتها ورقة صغيرة. «هذا رقم الفندق الذي انزل فيه. إذا فكرت بشيء... بطريقة استطيع بها جمع بعض المال، يمكنك الاتصال بي خلال اليومين القادمين.»

اخذتها مونيك بنفور: «حسنا، ولكنني لا أعدك بشيء.»

الحياة صعبة، فكرت فيليبا بمرارة وهي في طريقها الى الفندق. استبدلت مونيكا ببساطة بيتها السابق المترف ببيت آخر. إذا كان هجرها كيفين بعد خمس سنوات من الزواج، ما سبب لها حزنا فستجهد في إخفائه. ولكن من المحتمل انها استطاعت ان تتغلب عليه لإحساسها بالإهانة. عندما كانت مونيكا تنال مرادها كانت تظهر لطفها. وعندما تشعر بالخداع...

عبست فيليبا بسرية. بقي كيفين أرمل لعدة سنوات فقد دلل زوجته الثانية كثيرا وهي في المقابل وجدت متعة بالغة في ذلك.

عندما أعلن في البداية أنه ينوي التخلي عن مركزه في الشركة، وعن ممتلكاته في لندن وفي غربي ساسكس، اعتقدت مونيكا الأمر مزحة مزعجة او إجازة موقت. وعندما ادركت جديته وعزمه الشديد غضبت كثيرا. ما تزال فيليبا ترتعد عندما تتذكر

نوبات الغضب التي تحمّلها كيفين بصبر شديد. على كل حال، استسلمت مونيكا تماما لتسوية الطلاق السخيّة التي بدت تناسبها بشكل ملائم، ومن ثم لليونكس الذي أعجب بجمالها الارستقراطي.

حقق كيفين كل ما تمناه في البداية. لقد حصل على سعر كبير لممتلكاته ولم يكن بحاجة لأحد بعكس ما تكهنت به مونيكا. إستمتع هو وفيليبا بعدة سنوات من السفر منطلقتي الدوردوني والبروفانس الفرنسيتين بينما كان يعمل. يتميز كيفين روسكو، كما قال احد النقاد، بالقدرة على التعبير بلوحاته عن قوة الحرارة والظل التي تحدثها المناطق الجنوبية الفرنسية.

اعتقد بأنهما سيعيشان في سعادة دائمة، فكرت فيليبا. ولم يدركا كم كان الوقت قصيرا.

لن أفكر بهذه الطريقة، أنبت نفسها بقسوة. سأحصل على المال بطريقة او بأخرى وساعمل على ان يتلقى والدي العلاج في أميركا.

لكن كيف؟ تساءلت وهي تسند رأسها على نافذة القطار، وأخذت تفكر، بقي طرق قليلة لم تسلكها، لقد جربت كل الطرق التقليدية.

ربما عليّ ان أتخذ بعض الخطوات المتهورة. يقال ان فتيات الملاهي، يكسبن كثيراً من دون ان يدفعن ضرائب. أدارت رأسها قليلا لتدرس انعكاس

وجهها في زجاج النافذة. المتقاتلون بهوس فقط، سيظنون ان هؤلاء الناس يطلبون فتيات نحيفات، وشعر ناعم وخبرة قليلة جدا.

فكرت فيليبا. سأواجه الواقع، ليس عندي خبرة على الاطلاق. كانت شاكرة لأن والدها لا يعرف بما تعتزم القيام به، حتى ولو كان ذلك بشكل غير جدي. اعتقد أنها تحاول بيع لوحته الأخيرة التي رسمها قبل ان يستفحل مرضه العضلي.

حتى تلك اللوحة كان ميؤوسا منها. تصرف صاحب المعرض معها بلطف وتفهم، لكن اللوحة كانت دون مستوى أعمال كيفين روسكو. قد لا يشتريها أحد لأنها غير واقعية.

تمددت على السرير في غرفتها الصغيرة والوحيدة. وفيما تحاول ان تقرأ قصة بوليسية اشترتها في المحطة، رن جرس الهاتف فجأة.

فكرت أنه قسم الاستقبال، يريد ان يسأل عن موعد رحيلها. رفعت السماعة وإذا بصوت زوجة والدها السابقة الجاف يقول: «هل باستطاعتك الحضور الآن؟ هناك شيء مهم أود ان أناقشه معك.» وثب قلبها من مكانه: «هل وجدت حلا؟»

«ربما.»

«هذا رائع! ما هو؟»

«لا استطيع مناقشته على الهاتف.» استعادت مونيكا طبيعتها الباردة. «سوف ترى... إذا كان

رائعاً. قد يسهل الأمر إن جئت بمظهر أنيق.» ثم اقفلت الخط.

أنيق! فكرت فيليبا بارتباك وهي تتذكر تفاصيل ثوبها الشفاف الذي أحضرته معها. معظم ثيابها لا تناسب متطلبات مونيكا الصارمة.

أخيراً سوت الأمر ببنطال من الجينز وبقميص أبيض طويل الكمين. سرحت شعرها البني حتى التمع ثم ثبتته وراء أذنيها بمشطين على شكل فراشة.

وجدت مونيكا بمفردها واقفة قرب المدفأة الرخامية في غرفة الاستقبال، وفي يدها كوبا من العصير. استدارت في الوقت الذي ظهرت فيه فيليبا، ثم صرخت: «قلت أنيقة وليس كطالبة فنون جميلة!»

قالت وهي ترفع ذقنها بتحد: «انا كذلك بالفعل. على كل حال، هل ثيابي مهمة لهذه الدرجة؟ هل سيعرض عليّ عمل في حقل الأزياء؟»

قالت مونيكا بحدة: «ليس هناك ضمانة بأنه سيعرض عليك شيء. عندما يراك سيغير رأيه، ومن يستطيع ان يلومه؟»

قطبت فيليبا جبينها: «هو! من هو؟»

«الان دي كورسي، رئيس شركة دي كورسي العالمية. لديه عرض لك وعليك ان تستمعي إليه جيداً، إذا كنت فعلا بحاجة الى المال كما تدعين. مع أنني أجد الأمر غير معقول... ولا مجال للتفكير

فيه.» شربت بعض العصير ثم تابعت: «إنه ينتظرك في المكتبة، والأفضل ألا تدعيه ينتظر طويلا.»

سارت فيليبا بضع خطوات نحو المكتبة، وهي في شبه دوامة. كانت نادراً ما ترى زوجة أبيها منهارة، ليس منذ ان عرفت بخطط كيفين للمستقبل. من الواضح ان حفلة العشاء المهمة لم تجر كما خططت لها.

لقد سمعت بشركة دي كورسي العالمية، بالتأكيد. ومن لم يسمع بها؟ ماذا يمكن ان يطلب شخص له علاقة بتلك المؤسسة الكبيرة من شخص تافه مثلها؟ الأمر غير معقول كما قالت مونيكا.

توقفت أمام باب المكتبة، تتساءل إذا كان عليها ان تطرق على الباب أم لا. غيرت رأيها بسرعة، أدارت مقبض الباب ودخلت الى الغرفة.

كانت كل الاضواء مشعة، توقفت فيليبا قليلاً، وهي تطرف عينيها بعد ظلام الرواق النسبي. عندما اعتادت عيناها على الوهج، ورأته، تجمدت في مكانها من وقع المفاجأة.

رئيس شركة دي كورسي، يجب ان يكون أكبر سناً، فكرت وهي تشعر بدوار. رجل بدين، متوسط العمر وناضج... مثل لينوكس أندرهاي.

لكن هذا الرجل شاب وجذاب جداً، تفحصت عيناها الثاقبتان جسده الرائع وشعره الأسود الكثيف الذي يتموج من أعلى جبينه الى الوراء.

اقتربت منه حتى تمتع نظرها بعينيه الخضراوين اللتين تزينهما رموش كثيفة.

بدا مندهشا هو أيضا، كان حاجباه السوداوان يتحركان وهو يتفحصها ببطء من أعلى الى أسفل.

شعرت يداها بالرطوبة فجأة فمررت كفيها على بنطالها. بددت هذه الحركة الصمت الذي طوقهما وتحرك هو أيضا على نحو مفاجئ، وكأنه كان غاضبا من شيء.

عندما تكلم بدا صوته بارداً وضعيفاً وكأنه في حالة تأمل.

«إذا... انت فيليبا؟»

اجابت بصعوبة:«نعم.» وهي ما تزال تحدق إليه شبه مخدرة ومدركة ان حلقها جاف وأن نبضات قلبها تتسارع بشكل مزعج. «وأنت... السيد دي كورسي؟»

ابتسم بسخرية:«اعتقد ان علينا في مثل هذه الظروف ان نكون أقل رسمية. إسمي آلان.»

شعرت فجأة بالخوف. «أي ظروف؟» يا للهول، لا ارغب ان أكون مستهترة. «انا... أنا لا أفهم، يا سيد.»

«ألم يبلغوك؟»

التقت عيناه الخضراوان بعينيها وتجمدت نظراتهما.

«سيكون الشرف لي، على ما يبدو، إن قدرنا يا آنسة، أنا، وأنت ان نتزوج.»

بدت فيليبا للحظة، وكأنها فاقدة الحس. لم تستطع الحراك او الكلام او حتى التفكير بشكل منطقي، غير معقول. لكن يبدو ان الأمر اسوأ من ذلك. إنه الجنون بحد ذاته. مازالت كلماته تتخبط في رأسها. لا بد ان رئيس شركة دي كورسي العالمية أصيب بالجنون. ولا أحد يعرف بذلك غيرهما.

«الأفضل ان تجلسي.» اضاف آلان دي كورسي باقتضاب:«قبل ان تتهاري.» ألقى نظرة خاطفة على وجهها، ثم ثبت نظره على بنطالها الضيق، تجهم ثانية. «كم تبلغين من العمر يا آنسة؟»

«عشرون سنة.» زمت شفتيها الجافتين، قالت:«هل قلت... نتزوج؟»

أومأ برأسه من دون ان يبتسم. بلعت ريقها بصعوبة:«لكنني لم أرك في حياتي من قبل... حتى أنني لم أعرف بوجودك حتى هذه الليلة.»

«أنا ايضا، ولكنني لا اعتبر ذلك عائقا.» أحضر لها كرسيا ذا مسند عال وأجلسها عليه، ثم وضع كرسيا آخر في مواجهتها. «قبل ان تتهميني بالجنون، اسمحي لي بتوضيح بسيط. إني بحاجة إلى ان أكون متزوجا، يا آنسة، وبأسرع وقت. وكنت عازما على نشر إعلان في الجريدة أطلب فيه زوجة قبل ان آتي الى حفلة الليلة.»

قالت فيليبا بسخرية:«لا بد أنك تمزح. لن أسامح مونيكا... او لينوكس ابدا. اعتقدت انني تصرفت بغباء... عندما اخبرتهما بانني بحاجة ماسة إلى المال.»

قال الان دي كورسي بهدوء:«إنني لا أمزح. كنت شارد الذهن خلال العشاء، واستطاعا إقناعي بالتحدث عن متاعبي. اقترحت زوجة والدك السابقة عليّ حلا سينقذنا نحن الإثنين. لذلك طلب منك الحضور الى هنا الليلة. ولذلك نحن معا.»

أخذت نفسا عميقا:«إني... لا أصدق. هذا جنون!» رمقته بنظرة إزدراء:«كنت تنوي ان تنشر اعلانا في الجريدة، حقا! أنت آخر شخص في العالم، بحاجة الى ان يلجأ الى وسيلة كهذه.»

ابتسم لها بلطف:«شكرا على هذا الاطراء... إذا كان هكذا فعلا. في الحقيقة، اعرف القليل من النساء اللواتي بعمر مناسب وخلفية جيدة وأقل من اللاتي يسمحن لأنفسهن بالزواج في هذه الطريقة، من دون فترة التعارف التقليدية... او التعهد بالحب والإخلاص لمدى الحياة. أي شيء أقل، سيعتبرنه إهانة.»

تجمدت مكانها:«ألا تعتقد بأن الأمر يهينني؟»

هز الان دي كورسي كتفيه بلا مبالاة وقال بصدق:«مما عرفته الليلة عنك، لا اعتقد ان في استطاعتك ان تتحملي رد الإهانة. عرفت أنك في

حاجة الى بعض المال لتدفعي تكاليف علاج والدك في الولايات المتحدة، ولتبقيه في عيادة خاصة. إذا تزوجت مني، سأحرص على تنفيذ كل طلباتك. انت بحاجة إليّ لتأمين مستقبل والدك، يا آنسة. وأنا بحاجة إليك لمستقبلي. هل نعقد صفقة؟»

لقدنصحتها مونيكا بالإستماع إليه.

وجدت فيليبا نفسها ترتجف قالت:«اولاً، عليك ان تفسر لي حاجتك إلى الزواج بسرعة. لماذا لا تبحث عن زوجة... تهتم بها فعلا؟»

قال ساخرا:«الزواج ورقة يانصيب. كنت دائما اتجنب شراء بطاقة. لكن الآن أهلي يضغطون علي بشدة.» توقف قليلا ثم تابع:«ورثت الشركة عن جدي. ومنذ ذلك الحين، وعمي لويس يحقد علي لأنني سلبته هذا الحق. بدأ يعمل ضدي منذ سنتين، ويحاول الاعتراض دائما على الصفقات الملتزم بها حتى... يشوه سمعتي ويضعف سلطتي، وذلك باتهامي بقسوة أمام اعضاء المجلس إنني طائش.» رمقها بنظرة سريعة:«ابتسمت اخيرا يا آنسة، انا ايضا اجد الوضع مضحكا. لكن أصبح جديا مؤخرا. لقد ارتبط اسمي بامرأة متزوجة من رجل مهم في الحكومة. ولمحت بعض الصحف الى ذلك... وانتشرت الشائعات في الوسط الاجتماعي الذي أنتمي إليه... تعرضت للشائعات سابقا، ولكن هذه المرة استطاع عمي ان يستغلها

لمصلحته، وأن يثير مجلس الشركة ضدي على ان تصرفاتي مخزية، وستتسبب بفضيحة للشركة مما سيضعف مركزها في السوق. إنه يعتبرني غير جدير بمركز رئاسة الشركة. وعليه، دعا الى اجتماع طارئ، سيعقد بعد أسبوعين لمناقشة الوضع، ولمطالبتي بتقديم الاستقالة. إنه يخطط للاستيلاء على مركزي، ومخالفة إرادة جدي، وهذا احتمال غير مشكوك فيه. وقد يؤدي الى كارثة. هل فهمت المشكلة؟»

قالت:«اعتقد ذلك.... لكن ربما كان عمك على حق، وربما كنت انت فعلا شخصا مستهترا. إذا كنت على علاقة مع تلك المرأة، فلا داعي لأن تنكر أمامي.»

تغير تعبير وجهه:«عمي، يا آنسة، يفكر بطريقة بورجوازية لا تطاق، وهو يعرف جيدا ان حياتي الخاصة لا تؤثر بتاتا على عملي.» تردد قليلا، بدا نادما على شيء. ثم قال:«هناك عامل اخر. لدى عمي ابنة تدعى سيدوني. ولقد لمح لي عدة مرات بأنه سيوقف معارضته إذا عرضت الزواج على ابنته.» «أليس هذا حلا مناسبا؟»

«ما كنت اقترحت ذلك لو التقيت بها يوما. انها امرأة معقدة ومتسلطة وذات مزاج سيء.»

«ربما انا كذلك.»

«هذه مجازفة علي القيام بها.» تفحصت عيناه

وجهها وجسدها بشكل مزعج. «تبدين إنسانة واضحة، وابنة مخلصة ومحبة. هذا ما أكدته لي السيدة اندرهاي. ولهذا السبب اقترحت هي وزوجها ان أجري المقابلة معك.» توقف قليلا ثم تابع:«علينا اتخاذ بعض الخطوات المتهورة أحيانا لمعالجة مشاكلنا، ألست موافقة؟»

فكرت فيليبا. خطوات متهورة. هذا قولها، يرتد عليها كي يلازمها. قالت:«حسنا... ربما. ولكن... الزواج....»

راقبها للحظة طويلة:«انت خائفة من مضمون هذه الكلمة وبحاجة الى معرفة طبيعة هذه العلاقة التي أعرضها؟»

احست فيليبا بحمرة الخجل تعتلي وجهها:«نعم.»

«حسنا، هذه طبيعي.» قال بعد لحظات:«لست وحشا، يا فيليبا، ولكنني بحاجة الى ان اضمن استمرارية عائلة دي كورسي. سأطلب منك يوما ان تمنحيني طفلا. اعدك بأنني سأنتظر حتى تصبحي مستعدة. هل هذه هي الضمانة التي تريدينها؟»

«نعم... كلا... لا أعرف.» شبكت يديها بإحكام. «هذا سخيف، إنه وضع مستحيل.» «كما تقولين. ولكنه حل عملي لصاعبنا المشتركة.»

«هل هذا كله يهمك؟»

بدا مبتهجا:«وماذا غير ذلك؟»

«ماذا عن... الحب؟»

ضحك بجرأة:«ماذا عنه، بالفعل؟»لاحظت ان اسنانه بيضاء وجميلة مع أنه لا دخل لذلك بالموضوع.
«كما ذكرت، يا آنسة، سابقاً، لقد التقينا منذ برهة. وأشعر ان أي محاولة ودية للتقرب ستؤول الى الفشل طالما لم يحن الوقت....»
قالت بتوتر:«لم أقصد ذلك.»
«لا؟ اذا انت على علاقة مع شخص آخر؟»
اثارتها نبرة صوته المريبة، ورفعت ذقنها بتحد، وازداد تورد خديها. «هل الأمر مستحيل لهذه الدرجة؟»
قال بغيظ:«إنه بعيد الاحتمال. انا واثق من طبيعتك البريئة... والمزعجة.»
حملقت به:«في الحقيقة، كنت اتساءل عما سيحدث بعد ان نتزوج لو ان احدا منا تعرف الى شخص آخر.»
قال برقة:«الزواج ليس عائقاً دائماً لعلاقة كهذه. ما دامت سدادة الرأي موجودة.»
«وجهة نظر ساخرة وبغيضة.»
اجابها بحسم:«إني احاول ان أكون عملياً. على كل حال لم نتزوج بعد، لِمَ نبحث عن مصاعب ليست موجودة؟»
«آه، طبعاً، كل شيء سيسير على ما يرام.» ابتعدت عنه قليلا وهي تشعر بمرارة كلامه. «استطيع ان افهم ذلك.»

بقي ساكتاً لعدة دقائق ثم قال بهدوء:«فيليبا، لم يكن الزواج امرا سهلا ابدا. حتى لو كنا التقينا من قبل وأحببنا بعضنا البعض، فسيكون هناك ايضا... بعض التعديلات. وضعنا غير عادي، لكن من يستطيع ان يقول ان الزواج الذي ينشأ من صداقة واقتناع متبادل لا يمكن ان ينجح في آخر الأمر؟»
قالت بصوت مخنوق:«ولكننا لسنا صديقين.»
«ليس بعد، ربما، لكن هل هذا الإحتمال بعيد جدا؟»
«تماما، كما قلت.عليك ان تسأل شخصاً آخر.»
هز كتفيه بلا مبالاة:«كما قلت، استطيع ان اضع اعلانا. لكن الى من ستلجأين؟ انت بحاجة ماسة الى المال. او هل بالغت زوجة والدك بذلك؟»
أحنت فيليبا رأسها بحزن:«كلا. إنها محقة. ولكنني... لم أفكر ابدا بأن الأمور ستصل الى هذا الحد.» نظرت إليه:«لن تفكر... بإقراضي بعض المال.»
«فقط بشهادة زواج كضمان. اريد ان احظى بالاحترام من خلال الزواج بك، يا حبيبتي. لقد امضيت وقتا طويلا في بلدك. سأخبر عائلتي وأصدقائي بأننا تقابلنا في زيارة سابقة، وبأنني اتودد إليك منذ ذلك الحين. كتمنا خبر زواجنا بسبب صحة والدك السيئة.

وهكذا! سأبدد كل الشائعات بضربة واحدة.»
تنهدت بشدة: «الأمر ليس سهلاً. لا استطيع ان اعطيك جوابا اليوم... الليلة. عليك ان تمنحني بعض الوقت لأفكر... لأقرر...»
قال: «هذا معقول جدا. إني أقيم في فندق سافوي. بإمكانك الاتصال بي. لا تدعيني انتظر طويلا، الوقت ثمين لكلينا... هل كان الوضع اختلف لو اخبرتك في البداية بأنني اقتني إحدى لوحات والدك؟»
«أوه؟ أي واحدة؟»
«جسر مونتاسكو. من المؤسف ان ندع هذه الموهبة... تنهار.» سمح لكلماته بأن تتمكن منها ثم ابتسم. «والآن، هل تسمحين لي بايصالك الى البيت؟»
«كلا، شكراً.» تراجعت فيليبا عفوياً خطوة الى الوراء بعيدا عنه. وشعرت وكأنها حجزت مع نمر في قفص في لحظة غفلة، وبأنها سعيدة الحظ لتمكنها من النجاة.
إذا تزوجته، لن يكون هناك مجال للهرب، فكرت والخوف يتملكها. سأضطر لأعيش معه... تحت سقف واحد.
لم تستطع التركيز، وكأن عقلها يرفض قبول هذا الاحتمال. ماذا عن المال؟ لقد وعدها بتنفيذ كل رغباتها. هذا ما عليها ان تتذكره. إنها بحاجة الى

معجزة، ربما هذا ما كان دي كورسي يعرضه عليها الآن. لكنها لا تشعر ان هذا العرض هو حل، بل كسيف ذي حدين خطير لا يمكن التكهن بعواقبه.
لاحظت، انه كان يراقبها عن كثب، وأن عينيه ضاقتا فأسرعت بالكلام. «سأعلمك غدا بقراري... اعدك بذلك.»
«إذا سأنتظر جوابك.» تقدم نحوها وقبل ان تعي ما ينوي القيام به، رفع يدها الى شفتيه وقبلها. شعرت بأن يدها تحترق، برغم ان حركته كانت خاطفة. نظر الى عينيها وهو يبتسم: «اتمنى لك ليلة هانئة يا حبيبتي. وإذا شعرت بالقلق فكري بي.»

www.liilas.com

الفصل الثاني

استيقظت باكراً في الصباح التالي وكانت أشعة الشمس تسلل من خلال الستائر. فكرت في البداية بأن كل ما جرى لها البارحة هو مجرد حلم مزعج مناف للعقل.

قالت لنفسها: أمور كهذه لا تحصل ابداً، ليس في عالم الواقع. إن فتاة مثلها، ليست على قدر كبير من الجمال، لا يعقل ان تتلقى عرض زواج من مليونير فرنسي مهما تعددت الأسباب، ومهما بدا الأمر عملياً. حاولت ان تتذكر كلامه، ولكن عقلها رفض التعاون بسبب الانطباعات المضطربة الكامنة فيه.

لا بد انها في حلم، قالت لنفسها وهي في حالة ارتباك شديد. لقد شوش ضيف مونيكا ذهنها كلياً. هذه هي الحقيقة. هناك تفسير منطقي لكل شيء.

بسطت ذراعيها فوق رأسها، ثم وضعتهما ببطء أمامها. لقد اعتادت رؤية يديها الصغيرتين ملطختين بالدهان. لكنها الآن تستعملهما لرعاية كيفين وهي فخورة جداً بذلك.

وبينما كانت تنظر إليهما، اعادتها إحدى الصور العالقة في فكرها الى الواقع الذي لا يمكن

تجنبه. جلست بسرعة وهي تكبت صرخة مروعة. فكرت، لقد قبل يدي! جلست للحظة، وهي تحملق في أصابعها، وكأنها تتوقع رؤيتها موسومة بعلامة على بشرتها. عرفت أنه لا توجد طريقة تستطيع بها ان تحلم بذلك الإحساس بالذات.

إذا كل شيء حقيقي. في هذه الحالة ماذا عليّ ان افعل؟ اولا بإمكانها ان تجيب على الهاتف الذي رنّ في الوقت المناسب.

قالت مونيكا بعد ان سمعت فيليبا تلقي التحية:«حسناً.»

بلعت فيليبا ريقها بصعوبة وردت بصوت خفيض:«عمّ؟»

تنهدت مونيكا بتوتر وأمرتها بحدة:«ارجوك، لا تتغابي علي. ماذا قررت؟ هل ستقبلين عرض آلان دي كورسي؟»

فكرت فيليبا وهي تمسك السماعة بإحكام، إني واقعة في مأزق لا أعرف ماهيته، ولا استطيع السيطرة عليه. إني في دوامة، عاجزة عن التصرف.»

قالت مونيكا بتلهف:«فيليبا، هل ما زلت معي، سألتك عما ستفعلينه؟»

قالت بهدوء:«لا اعتقد أنه لدي خيار حقاً. سوف... سوف آخذ ماله.»

ضحكت مونيكا بسخرية:«ليس المال فحسب، يا

عزيزتي، ستحصلين على شقة في باريس، وعلى بيت ريفي، ودارة في نيس. إنها البداية فقط يا عزيزتي. ولا تنسي ان الان هو أحد الرجال الاكثر جاذبية في فرنسا. لقد أحسنت الاختيار.»

سألت فيليبا: «حقا؟» شعرت وكأن في قلبها حجرا.

«الافضل ان تتزوجي في لاودن، هل يستطيع كيفين حضور الاحتفال؟»

انتفضت فيليبا من مكانها، وكأنها تلقت ضربة. قالت: «كلا، اتمنى ان يتم ذلك وهو قد بدأ يتلقى العلاج في اميركا.»

«حسنا، كما تريدين. سأحضر لك غرفة، اتوقع حضورك بعد ساعة لأننا سنقوم بجولة في الأسواق.»

«لماذا؟»

ارتجف صوت مونيكا بشكل مثير: «يا عزيزتي، مع ان الاحتفال سيجري بشكل هادئ، وبسرية تامة، لا يمكنك ان تتزوجي في بنطال من الجينز. سأتكفل انا ولينوكس بجهاز العرس كهدية لك.»

«ليس من الضروري...»

قالت بحزم: «هذا هراء. سأراك لاحقاً.» وأنهت المكالمة.

بعد ساعة من الوقت، وجدت فيليبا نفسها في جناح الان دي كورسي. كان يجلس الى طاولة قرب

النافذة، يتناول افطاره ويقرأ جريدة عندما دخلت، ولكنه نهض بسرعة، ليرحب بها بلطف.

قالت فيليبا عندما كانا بمفردهما: «إني آسفة. كان عليّ ان اتصل اولا. من الواضح انني ابكرت...»

«لا على الاطلاق.» وأشار إليها بالجلوس الى جانبه. «هل تناولت الفطور؟»

لاحظت فيليبا بإحراج إن الطاولة معدة لشخصين. «أه... انك تنتظر ضيفا.»

ابتسم لها. لاحظت ان ثيابه غير رسمية هذا الصباح، فهو يرتدي بنطالا أزرق، وقميصا ملائما مفتوحا قليلا يظهر عنقه الملوح بحرقة الشمس.

«كنت اتوقع حضورك، يا عزيزتي. هل تريدين بعض القهوة» امسك بالوعاء، وسكب بعضا منه في فنجان، ثم قدم لها السكر والكريما التي رفضتها. أخذ الان دي كورسي تفاحة من سلة الفواكه وبدا يقشرها.

سألها: «هل فكرت جيداً؟»

اومأت برأسها بصمت.

«إذا... ما هو جوابك؟» اخذت الملعقة وأخذت تحرك القهوة متعمدة عدم النظر إليه. قالت: «سأتزوج منك، ولكن هناك شروط.»

قال بسخرية: «توقعت ذلك. ما هي؟»

«يجب ان يبدأ أبي بالعلاج في أسرع وقت ممكن... ويجب ان لا يعرف شيئا عن... اتفاقنا.»

«هل ستخفين عنه خبر زواجنا؟ لكن لماذا؟»

«لأنه إذا علم بالحقيقة، سيرفض الذهاب الى اميركا... لأنه سيظن أني اضحي بنفسي من أجله. لن أجازف بذلك.»

«فهمت، لكنني غير متأكد من قدرتك على الاستمرار بكتم الأمر، عليك إخباره يوما ما.»

توردت وجنتا فيليبا: «تعني، عندما... إذا اصبحت حاملا؟ سأتخطى ذلك في الوقت المناسب.»

قال بصوت هادىء: «لم أقصد ذلك تماما. إذا نجح العلاج، سيفكر بمزاولة حياته السابقة التي انت جزء مهم منها. ألم تفكري بأنه سيلاحظ انك تزوجت؟»

قالت بهدوء: «إذا نجح العلاج... أو إذا شفي نهائيا، سأصارحه بكل شيء، لأن وضعه يكون مؤاتيا، وأتمنى ان يتفهم تصرفي.» ثم عضت على شفتها. «وإذا فشل لن يهم بعد ذلك.» ترددت ثانية. «كنت اتساءل إذا كنت تود ان اخضع لفحص طبي.»

وضع التفاحة على الطاولة وحدق فيها: «لماذا؟ هل انت مريضة؟ هل تعتقدين ان مرض والدك وراثي بطريقة ما؟»

«آه، كلا. لقد اعربت لي عن رغبتك في الحصول على... وريث. وفكرت بأنك تريد ان تتأكد من قدرتي...»

رفع الآن يده باحتجاج وقال بغضب: «إني لا أطارد

حيواناً صغيراً.» ثم اضاف: «اعتقد ان الأمر سيأخذ مجراه الطبيعي في الوقت المناسب، اليس كذلك؟»

تمتمت بنظرة يائسة: «قلت... ان الامر لن ينجح. اعني، ان ما من احد... سيصدق ذلك.»

«لما لا؟»

«حسنا، فقط... انظر إليّ!»

«إنني انظر. انت نحيفة جدا، وشعرك بحاجة الى قص. هل هناك شيء آخر يقال؟» شبكت فيليبا يديها بتوتر في حضنها: «اعتقد انني لن أجيد دور الزوجة لأحد... خصوصا لمليونير يملك منازل في كل انحاء فرنسا. لا اعرف ماذا تتوقع مني...»

«صدقيني، اتوقع القليل. في البداية سأكتفي بظهورك الى جانبي امام الناس. أما بالنسبة لمنازلي... فلدي فريق عمل كامل يهتم بها.» رمقها بنظرة ساخرة. «مهمتك لا تتضمن تنظيف الغرف وتحضير الطعام.»

«لكنك تريدني بالطبع ان اتصرف كمضيفة... لم أقم بذلك من قبل.» ضعف صوتها وهي تتذكر الأيام المشمسة التي قضتها مع كيفن في جنوبي غربي فرنسا، الصداقة الحميمة، الأسواق، النوادي الليلية.

«بإمكانك ان تتكلمي بصوت عال، وتعبري عن نفسك بحرية. سأكون الى جانبك دائما... وسأحذرك من إثارة بعض المواضيع التي

من الأفضل تجنبها مع أشخاص معينين.»
«علي ان ارتدي... ثيابا مختلفة.»
«هل تنوين ان تمضي بقية حياتك في ذلك الجينز البائس، يا صغيرتي؟»
«بالطبع لا.» سكتت لفترة وجيزة ثم قالت: «لا اعتقد انك تلاحظ كم ستختلف حياتي.»
«وحياتي ايضا. تأكدي من أن فكرة الزواج لا تعجبني اكثر منك، يا عزيزتي.»
قالت بعناد: «حسنا، اعتقد ان من الأنسب لك ان تتزوج ابنة عمك.» ثم رشفت من قهوتها، وتابعت: «يجب ان تخبرها بحقيقة شعورك نحوها، إلا إذا كانت مستعدة للتظاهر...»
قال بسخرية: «ليست مستعدة ابدا. انها تتمنى ذلك. وتتوقع مني ان اتصرف معها كحبيب متيم... وأن افسر لها غيابي عنها كل لحظة حتى أوفر عليها الدموع، الغيرة والانفعال. لن احتمل ذلك ابدا.»
قالت فيليبا بنفور: «استطيع تصور الامر. اخشى انه ليس من المفترض ان اطرح عليك اسئلة كثيرة.»
رمقها بنظرة مبهمة: «اسألي ما تشائين، لكن لا تلوميني إذا لم تعجبك الاجوبة.» دفع بكرسيه الى الوراء ونهض متابعا: «لدينا يوم حافل بالأعمال. سأتصل بالمحامي، ثم بمصرفي في لندن، ليتخذا التدابير اللازمة المتعلقة بعلاج والدك.» دار حول

الطاولة، ثم توقف وهو ينظر إليها بابتسامة: «اتمنى ألا تهربي بالمال، يا عزيزتي. لأن هذا لن يفرحني ابدا.»
رفعت فيليبا ذقنها بتحد: «سوف أفي بوعدي. علينا... ان نثق ببعضنا البعض.»
«هكذا يبدو. هل سنختم جلستنا بالطريقة العادية؟»
سمحت لأصابعه بأن تطوق أصابعها، وذهلت عندما وجدت نفسها تنساق إليه قبل ان تستطيع المقاومة. وضع الآن ذراعيه حولها بإحكام. شعرت بضغط ذراعيه القاسيتين على كتفيها.
حاولت بيأس إبعاده عنها، لكنه منعها. لقد اخطأت عندما سمحت لنفسها بالتفكير فيه كرجل اعمال جذاب.
قالت بصوت أجش، عندما استطاعت ان تتكلم: «ما كان يجب ان تفعل ذلك.» قال وهو يمرر يده على ذقنه: «معك حق.»
«عليك ان تتذكر وعدك بعدم... مضايقتي. ويمنحني بعض الوقت.»
رفع الآن حاجبيه: «كل هذه الجلبة من أجل ترحيب بسيط! ماذا لو قبلتك...» ابتسم لها. «تعالي اريدك بقربي وأنا أحلق ذقني، بعدها سأريك الفرق.»
«كلا.» تراجعت خطوة الى الوراء. وهي مدركة انها تلهث، وأنه لاحظ ذلك. «يجب ان أذهب وأتكلم مع

أبي وطبيبه... لأزف لهما الاخبار الحسنة، ولأقوم بالترتيبات اللازمة.»

لم يحاول آلان ان يؤخرها: «كيف سأتصل بك؟»

«ساكون في لاودن. دعتني مونيكا للبقاء معها... حتى يحين موعد الزفاف.»

اومأ برأسه: «إذا سأراك هناك، الى اللقاء.»

فكرت فيليبا، حتى نلتقي ثانية، عندما وجدت نفسها في الرواق وبأمان، بعد ان اغلق الباب بينهما. وقفت للحظة، لتسمح لدقات قلبها بأن تخفف من حدتها. لم تكن واثقة من انها تريد ان تلتقي بشخص مزعج مثل آلان دي كورسي مرة ثانية، خصوصا في مثل ظروفها. فكرت فيليبا، اتمنى لو انه ودعني من دون ان يعانقني.

بعد اسبوع، غادر والدها الى اميركا برفقة ممرضة خاصة. روت له قصة وهمية بأن المال ترك في صندوق تقاعد الشركة وأهمل تسجيله. لم تكن واثقة من أنه صدقها، ولو كان في صحة جيدة لقام ببعض التحريات. بدا سعيدا جدا لدرجة أنه لم يستجوبها بدقة، وكانت شاكرة لذلك.

تزوجت فيليبا آلان دي كورسي بعد ثلاثة أيام من رحيل والدها.

مرت أيام تلك الفترة بلمح البصر. واستكانت فيليبا بعض الشيء، وسمحت للأحداث بأن تأخذ مجراها بنوع من السلبية، لم تكن من طبيعتها.

شعرت وكأنها في حلم وأن كل ما يحدث حولها بعيد الشبه تماما عن الواقع. جربت الثياب بشرود تام، راقبت مزين الشعر وهو يقص ويصفف شعرها الأملس على نحو قصير جدا ليجعله اكثر اشراقا، استمعت الى كلام مونيكا المزعج من دون ان تدقق بكل كلمة واحدة مما قالته.

اصطدمت بالواقع اخيرا، عندما وجدت نفسها على متن طائرة متوجهة الى باريس بفستان صوفي أنيق كهرماني اللون اختارته لها مونيكا.

حدقت بخاتم زواجها الذهبي، وحاولت ان تتذكر شعورها عندما وضعه آلان في إصبعها قبل بضع ساعات. كانت مخدرة، فكرت فيليبا. ومازالت حتى هذه اللحظة. لكنها لن تضطر الى تحمل شهر عسل. سيستغنيان عن هذا التقليد في الوقت الحاضر، هذا ما قاله آلان لها، لأنه أمضى وقتا طويلا في لندن. إذا هما ذاهبان مباشرة الى شقته الباريسية.

«اتمنى ألا تجديها مملة.»

تمتمت فيليبا: «آه، لا.» وهي تحاول جاهدة إخفاء ارتباكها. سيكون الوضع محرجا بعد ان تشاركه سقفا واحدا. لن تستطيع تحمل فكرة وجودهما وحيدين في جناح العرائس مع كل ما يتضمنه من واجبات. كان آلان يعرف ما يدور في رأسها، لكنه لم يقل شيئا، بل اكتفى

بالابتسام لها بين الحين والآخر بشكل تهكمي. وضعت يدها على عنقها تتلمس عقد اللؤلؤ الذي قدمه لها آلان كهدية الزواج. صرخت مونيكا: «رائع.» عندما كانت تساعد فيليبا على تغيير ملابسها.

«نعم... لكنه ألا يرمز الى الدموع؟» وشعرت بالانزعاج بينما كانت مونيكا تثبت المشبك. ابتسمت مونيكا ابتسامة حملت معها معنى الحسد بعيداً عن الحقد: «كلا، يا عزيزتي، إذا كنت مدركة تماما. تمتعي بهذه الغنيمة، سيدة دي كورسي.» ثم اضافت بسخرية: «لأنك ربما لن تجدي غيرها.» ونظرت الى ساعتها قائلة: «علينا ان نسرع، زوجك ينتظرك.»

زوجك. اختلست فيليبا النظر الى هذه الظاهرة غير المتوقعة والمثيرة التي تجلس الى جانبها، يبدو أنه منهمك في قراءة مجموعة من الاوراق، يحتفظ بها عادة في حقيبته الجلدية.

لا تعرف إذا كان عليها ان تشعر بالسعادة أم الحزن لانهماكه عنها. ثم رأت ان تصرفه، حتى لو لم يكن إطراء لها، فإنه بالتأكيد مريح. على الأقل لن تضطر الى مسايرته.

في خلال الأيام العشرة الماضية كانت ترى آلان يوميا تقريبا، ولكنها لم تعرفه افضل مما فعلت في أول أمسية لهما عندما توجهت الى المكتبة في لاودن. لم تتعد علاقتهما حدود الصداقة كما

وعدها، ولم يحاول عناقها مع أنها كانت ترغب في ذلك. اعترفت لنفسها بأنه شخص ساحر، حاول إغراءها بالكلام حتى يكتشف ميولها في الأدب والموسيقى والفن وإذا كانت تفضل البالية أم الأوبرا، كرة المضرب أم السكواتش، حتى أنه سألها عن طعامها المفضل.

ربما يريد ان يجمع ملفا عنها أو ان يخزن هذه المعلومات في كومبيوتر الشركة حتى يستعملها كمراجع في المناسبات الخاصة.

بدأت فيليبا تدرك كم كان موجزاً في الحديث عن نفسه، هذا الغريب الذي تزوجها على السراء والضراء. على السراء والضراء. كررت فيليبا هذه الكلمات في فكرها، وارتجفت فجأة.

لم تنتبه فيليبا للوقت، ولكن يبدو إن الطائرة تهبط. كان الاستقبال في المطار بسيطا، ووجدت نفسها في سيارة ليموزين يقودها سائق خاص. فكرت ان عليها ان تتكيف مع هذه الشكليات وإن كانت تكرهها.

قبل ان تكون مستعدة كلياً، وجدت نفسها تسير نحو بناء مهيب في إحدى المناطق، وتصعد في مصعد الى شقة فخمة.

اخبرها آلان ان الشقة ليست جزءاً من الممتلكات التي ورثها، وأنه اشتراها بنفسه منذ بضع سنوات، لأنها قريبة من مراكز عمله. اخبرها

ايضاً ان هناك سيدة تدعى هنرييت ترعى شؤونه ويساعدها في بعض الأحيان زوجها جيسكار. وأنهما الآن بانتظار سيدهما وعروسه الحلوة.
عندما تمت كل المقدمات، أخذها الآن جانباً، سألها بصوت منخفض:«هل ستكونين بخير إذا تركتك هنا؟ إني بحاجة لأن أذهب الى المكتب، ولا أعرف متى أعود.»
تمتمت فيليبا وهي تشعر بتورد خديها بسبب نظرته الفضولية:«لا أمانع ابدا... ساكون بخير.»
«لا أشك في ذلك.» مرر الآن اصابعه على خدها الأحمر، واستدار نحو السيدة هنرييت قائلا:«لن أكون هنا على العشاء، هنرييت تأكدي من تلبية كل طلبات السيدة.» رفع يد فيليبا الضعيفة ثم طبع عليها قبلة سريعة. وقال:«الى اللقاء يا حياتي.»
إذا كانت عائلة جيسكار يعتبرون تصرف الآن شاذا، كونه عريسا جديدا، فإنهم برعوا في إخفاء آرائهم. وجدت فيليبا نفسها مراقبة في كل حركة تقوم بها. تأكدت ايضا، من النظرات الخفية التي تبادلاها بأن زواجها ليس الصدمة الوحيدة لهما، ولكن آل جيسكار اعتبروها اسوأ زوجة يمكن ان يقع اختيار دي كورسي عليها. لا بد أن افتقارها الى الخبرة والتكلف وأضح بشكل مثير للشفقة، فكرت بمرارة، إذا لم تقدر على خداع الخدم فكيف تأمل بخداع عائلته وأصدقائه؟ استطاعت ان تكبت

تنهيدة فرج، عندما قادتها السيدة جيسكار بطريقة غير ودية الى غرفتها. غرفة جميلة مهندسة بأسلوب عصري ومحاذية لغرفة الآن.
قررت ان تستكشف معالم الشقة بمفردها من دون حضور السيدة جيسكار البارد الى جانبها. وجدت المكان متزمتا وكئيبا. ذكرها ديكوره الأنيق بفخامة لاودن الأثرية. ليس مريحا على الإطلاق، فكرت فيليبا وهي تسمع صوت كعب حذائها على الارض المصقولة. بدت الستائر والأثاث وكأنها تحذرها من لمسها. وجدت نفسها تتساءل عن الوقت الذي أمضاه الآن هنا.
لكن هناك لمسة مألوفة أضفت سعادة على جو البيت... لوحة كيفين لجسر مونتاسكو المعلقة فوق المدفأة الرخامية الرائعة في غرفة الصالون. وقفت وبداها وراء ظهرها تحملق بها. أحبت الوقت الذي امضياه في مونتاسكو.
تنهدت بصمت وهي تتذكر السقوف الناتئة على التلال المنحدرة نحو النهر، وبرج القصر المدمر الذي يعلو الممر الضيق. لقد استأجر منزلا في أعلى القرية، تحيط به أشجار عالية. تاقت للعودة الى الماضي، والى رؤية المنزل حين كان كيفين يرسم، كانت هي تقوم ببعض الأعمال المنزلية، ثم تتجول في السوق الصغير المبهج لتحضر بعض الوجبات الرائعة والغريبة لكليهما. لكن والدها

لم يتذمر ابداً. فكرت والابتسامة ترتجف على شفتيها.

عندما استدارت وهي تصلي بصمت من أجل شفاء والدها، لاحظت الساعة الرائعة التي احتلت موقعا على رف الموقد.

يبدو ان آلان لا يستعجل العودة. ليس لأنها تريده بقربها، بالطبع، لكنها ذكرت نفسها بسرعة انه كان بإمكانه ان يساعدها اكثر حتى تتكيف مع محيطها الجديد. ألم يلاحظ كم كانت تشعر بالغربة والوحدة؟

حاولت مشاهدة التلفاز، ولكنها وجدت أنه يتطلب تركيزا يفوق قدرتها، ومعرفة أشمل باللغة الفرنسية، وقد أدركت ذلك بصعوبة. عليها ان تخضع لتدريب كثيف في اللغة قبل ان تقوم هي وآلان بأي مهمات اجتماعية، مع أنها لا تتخيل نفسها تقوم بدور المضيفة في محيطهم المرعب.

على الرغم من تسريحة شعرها الحديثة وثوبها الجديد، مازالت غريبة عن محيطها. كانت فكرة بائسة وغريبة، تقلص حلقها فجأة.

قالت لنفسها بحزم: آه، كلا. لن تبدئي بالبكاء. انت متعبة فقط بعد هذا اليوم الحافل. الافضل ان تأوي الى الفراش. وفي الصباح ستتمكنين من المحافظة على دورك في هذه الاتفاقية وامتلاك اسلوب هذه الحياة الجديدة.

كانت في طريقها عبر الرواق العريض عندما رن جرس الهاتف. ترددت للحظة، قد يظهر آل جيسكار ويظنون انها تتعدى على حقوقهم، لكن عندما استمر رنينه ولم يرد أحد، رفعت السماعة بحذر شديد.

«آلان؟» كان صوت امرأة، ناعماً، دافئاً وأبح.

«هذا أنا، يا حبيبي.»

شعرت فيليبا للحظة وكأنها تحولت الى حجر. لكن لماذا هي تفاجأت؟ لم يكتم آلان عنها نزعاته. وبسبب ذلك هي موجودة هنا. لكنها لم تتوقع هذه المواجهة بهذه السرعة.

www.liilas

الفصل الثالث

كانت فيليبا ترتجف بانفعال، وباحساس آخر أقل تحديدا، عندما أغلقت باب غرفتها وراءها إذا رنّ الهاتف ثانية ستنفجر بالبكاء قبل ان ترد عليه، قالت لنفسها. التقاضي عن مغامرات الآن العاطفية، كما اتفق شيء خاص، وتلقي الرسائل منهن شيء آخر.

تجمدت في مكانها للحظة، لتأخذ نفساً عميقاً حتى تستعيد توازنها. لا بدّ ان السيدة جيسكار أفرغت لها حقيبتها. لاحظت ذلك، وهي تجول بنظرها في الغرفة. كانت أدوات زينتها بانتظارها، وأحد ثياب نومها الذي أصرت مونيكا على شرائه، ملقى على شكل مروحة فوق السرير.

نظرت فيليبا إليه بنفور. لقد كلفت ثياب النوم اكثر مما اعتادت لدفع ثمن ثياب كاملة في كلية الفنون، فكرت بتوتر. يا له من تبذير للمال على رداء لن يراه أحد غيرها! لم تجد فيليبا السرير مريحا. نظرت الى غطاء السرير الحريري الاخضر والمزيّن بكشاكش عريضة وتساءلت إذا كانت ستتمكن يوما من ان تنام براحة وسط هذا الترف. هزت رأسها بشدة وهي تعترف لنفسها بأنها ضيقة التفكير. ربما سيريحها حمام دافيء قليلا.

دهشت فيليبا لفخامة غرفة الحمام. شعرت بتوترها يزول تدريجيا عندما غاصت في المياه.

جففت جسمها بمنشفة الحمام الكبيرة الناعمة، ثم عطرت نفسها بمستحضر كان موضوعا فوق المغسلة، قبل ان ترتدي ثوب نومها. نظرت الى نفسها في احدى المرايا الطويلة ثم عبست، ثبتت رباط قميصها الساتان المشقوق من الطرفين. بدت كطفلة تلعب دور امرأة بشعرها المتدلي كمياه المطر حتى كتفيها.

ابعدت شعرها البني الناعم عن وجهها ثم مشت الى غرفة النوم، اطلقت صرخة عندما وجدت نفسها وجها لوجه أمام آلان. بدا مصدوما مثلها، لاحظت ذلك ووجهها يضطرم. كان ما يزال في بذلته السوداء الرسمية التي تزوج فيها، ولكن من دون السترة وربطة العنق الحريرية.

قالت بصوت اجش ومحرج: «ماذا تفعل هنا؟ ماذا تريد؟ الوقت متأخر جدا.»

قال ببطء: «احضرت بعض العصير لنشربه لأجل مستقبل سعيد. لا اعتقد ان هذا ضروري. ولكنه تقليدي... بالنسبة لليلة زفاف.»

«ولكنها ليست... ليس تماما... أعني بأننا لسنا...» وتوقفت لأنها أحست بالتهاب وجنتيها. «انت تعرف ماذا أعني.»

سكب آلان العصير في الكوبين ثم ناولها واحدة.

قائلاً:«لست متأكداً من ذلك.» اخذت الكوب وأمسكته بارتباك ذكرته بصوت مرتجف:«قلت إنك... ستنتظر. بأنك ستمنحني بعض الوقت حتى... أعود نفسي.»

أخذ رشفة من كوبه وهو يراقبها بتأمل وقال:«إلى متى، يا عروستي الكسولة؟ هذه السنة، السنة القادمة، يوما ما.. او ابدا، ربما؟»

«سأفي بوعدي... عندما يصبح الأمر ضرورياً. لكن ليس بعد.»

«وإذا اخبرتك بأن الأمر ضروري الآن... الليلة؟»

«لن اصدقك.» وتراجعت خطوة الى الوراء وهي ما تزال تحمل الكوب. «ارجوك توقف عن هذا الكلام واتركني في أمان كما وعدت.» توقفت لتستجمع شجاعتها. «الى جانب ذلك، هناك شخص آخر يتوقع حضورك.»

رفع حاجبيه السوداوين:«ما معنى ذلك؟»

رفعت ذقنها بتحد وقالت:«أكون شاكرة لك لو طلبت من صديقتك ان لا تتصل بك الى هنا مرة ثانية. ربما من الافضل ان تحذرها بأنك الآن متزوج، اسمياً على الاقل. بإمكانها ان تتصل بك في المكتب. انا متأكدة من ان سكرتيرتك معتادة على هذا النوع من المكالمات.»

خيم صمت طويل منذرا بسوء. عندما تكلم كان صوته بارداً:«كيف تجرئين على التكلم معي بهذه الطريقة؟»

قالت متحدية:«وكيف تتوقع مني ان اتصرف مع نسائك؟» لكنها شعرت بالخوف فجأة، وتمنت لو أنها لم تستعجل ذكر ذلك. لكنها لا تستطيع ان تتراجع عن كلامها الآن:«من الواضح انها تنتظرك، لذلك لن أضيع المزيد من وقتك.»

قال بتوتر شديد:«عندما اريد ان اعرف رأيك في حياتي الخاصة سأطلب ذلك بنفسي، يا زوجتي. على كل حال، لا أنوي ان امضي هذه الليلة في أي مكان آخر سوى هنا.»

خيم صمت آخر عميق. أخذت فيليبا نفساً عميقاً. «عندما تقول هنا، اتمنى انك لا تعني...»

ابتسم ابتسامة قاسية ومختصرة:«أعني تماماً كما تفكرين، يا جميلتي.»

«لا... آه، لا!» تراجعت خطوة ثانية بعيداً عنه. «لقد وعدتني وعدتني...»

«اسمعيني جيداً، لقد أخبرت عمي هذا الصباح بزواجنا. عندما نجح في التغلب على كدره، أصر علي ان نتناول العشاء معه غدا مساء... حتى يتعرف وعائلته إليك، لم استطع الرفض يا فيليبا.»

رمقته بنظرة توسل:«لكنه لا يستطيع ذلك!... يجب ان نتجنب هذه الدعوة. لست مستعدة لمواجهة أحد بعد.»

تشدق الآن في الكلام:«هذا ما أحاول قوله. إنهم يتوقعون، عمي و زوجته وابنة عمي سيدوني ان

يتعرفوا الى زوجتي الحبيبة، ليس الى زوجة مذعورة. علينا ان نقدم لهم زواجا طبيعيا، هل بدأت تدركين الضرورة؟»

قالت بصوت أجش:«كلا، لا استطيع مقابلتهم بعد. عليك ان تفكر بعذر ما.»

وضع آلان كوبه على الطاولة. تفحصت عيناه الخضراوان وجهها، وقال:«عليّ ان أجد طريقة لإقناعك.»

قالت:«أخرج من غرفتي.» ضعف صوتها:«لا تقترب مني... وإلا ملأت البيت صراخا.»

رفع حاجبيه بسخرية:«حقا؟ ومن سيسمعك... او يهتم بك؟ لقد دُرب آل جيسكار جيدا على عدم التدخل.»

«أيها الوغد.» «لن تنفعك هذه الاسماء في شيء. لدينا صفقة، أنت وأنا. ولقد أنجزت بسخاء من جهتي على الأقل، وسأستمر في ذلك مادمت أتلقى سخاء... مماثلا منك، يا عزيزتي.» أشار إليها:«تعالي إليّ.»

«لقد وعدتني... وكذبت عليّ.» كان الخوف يسيطر عليها، وأحست به يطبق على حلقها. «لا تستطيع ان تفعل ذلك! إنك حتى لا تريدني...»

قال آلان بلطف:«وما أدراك بالرغبة، يا صغيرتي البريئة؟»

«اعرف انني لا أريدك.»

تجمد كلامها في الهواء. رمقها بنظرة طويلة. لاحظ الآن الاضطراب البادي في عينيها. قال بتهذيب ساخر:«هل أجعلك تتوسلين حتى تكوني ملكي؟»

صرخت فيليبا كحيوان مطارد ورمت العصير على وجهه. تجمد في مكانه للحظة، ثم أمسك بقميصه ليزيل السائل من على وجهه وصدره، وعيناه لم تفارقا عينيها.

«عليك ان تظهري احتراما للسائل الذي بين يديك. واحتراما أكبر لي يا جميلتي. مع انني سأضطر الى تلقينك درسا.»

وقع الكوب من يدها المرتجفة وتدحرج على السجادة وهو يقترب منها. حين عانقها سابقا كان ناعما معها، لم تستعد ابدا... لهجوم كهذا. حاولت ان تبعد رأسها، لتتخلص من ضغطه الخانق، لكنه لم يسمح لها بذلك. لا جدوى من محاربته. كان خبيرا ومصمما على نحو خطر.

استطاعت ان تعي من خلال لحظات قليلة انه يبرهن بالحاح مخيف وبسرعة على معنى الرغبة، وما تتطلبه منها قبل ان تنتهي هذه الليلة. لقد كذب عليها، وخالف وعده، ولن تسامحه على ذلك. إذا أرادها عليه ان يتملكها بالقوة. قالت لنفسها بشجاعة. لأنها لن تستسلم له مهما كلفها ذلك.

سألها:«مما انت خائفة؟»

«لست خائفة... إني مشمئزة. اعتقدت بأنني استطيع ان أثق بك، لكنك كذبت عليّ.»
ضحك بنعومة:«يا صغيرتي. لمَ لا تتوقفي قليلاً عن محاربتي بعقلك العنيد، وتتمالكي نفسك؟ من يدري؟ ربما ستتفاجئين.»
قالت بغضب:«انني أهنت وخُدعت بقسوة.»
قال بصوت بارد:«تعتبرين وجودي معك إهانة؟ أقدم لك أسفي الشديد، يا سيدة. لكن هذا لن يغير شيئا. بإمكانك ان تتصرفي كطفلة، لكن الليلة سأعلمك معنى ان تكوني امرأة.» اضاف بطريقة جافة:«ستجدين الأمر سهلا إذا عدلت عن كرهي.»
قالت بحدة:«لن اسامحك ابداً.»
تلألأت اسنانه، وهو يبتسم:«كما تريدين.» وعانقها.
فكرت فيليبا،لن أتحمل ذلك. قالت:«افعل ما تشاء بي، ثم اتركني بسلام.»
بدا صوته دافئا،«في الأحلام، يا حبيبتي. ألا يمكن ان نقوم بقسوية.» وكأنه يحاول تلطيف الجو.
وجدت فيليبا نفسها ترتعد فجأة، وترغب في التجاوب معه بالطريقة التي يريدها. رفعت رموشها قليلا، ونظرت الى وجهه لترى فرحة الانتصار في عينيه الخضراوين، عندما لاحظ صراعها الداخلي. كان تعبير رجل، معتاد على امتلاك

النساء. هذا المغرور لا يريد ان يفشل مع عروس صفقته. استطاعت ان تحرر يدها منه ثم صفعته بقوة على وجهه. وبدأت تحاربه بشدة، وهي تعارك للتحرر منه وبداها تضربانه وأظافرها تشد على كتفيه وصدره.
قال بصوت غاضب:«فيليبا. تباً لا! ليس هكذا، توقفي، كفي عن ذلك.»
قالت بصوت منخفض:«أكرهك، وساكرهك دائماً.»
«وسأساعدك على ذلك.»
اغمضت عينيها بشدة لتمنع سقوط دموعها. حاولت ان تتذكر أي شيء تعلمته في المدرسة، او حصل معها في البيت حتى يبعدها عن التفكير بالآن وبقوته. اخيرا بعد ان تأكدت بأنه نائم بدأت تنسحب ببطء.
بسرعة امسك الآن ذراعها:«ماذا تفعلين؟»
«أريد ان اذهب الى الحمام.»
«ربما لا اريدك يا عروستي الحلوة ان تتركيني بهذه السرعة. قد أريدك بعد لحظات قليلة.»
حدقت الى وجهه الداكن، وعيناها تتسعان من هول المفاجأة.
ضحك بقوة ثم قال:«ربما، لن اريدك ثانية.»
احست بنظرات الآن تلاحقها وهي تتجه الى الحمام، وكانت خائفة من ان يحاول الاقتراب منها مرة ثانية. لحسن حظها كان الباب يثبت بالرتاج،

أحكمت إغلاقه غير آبهة إذا كان قد سمعه أم لا.
نزعت ثوبها، رمته على الأرض بغضب، ثم أدارت مقبض صبورة الماء. لفت نفسها بمنشفة وهي تحدق في المرآة. بدت كهرة خائفة بشعرها المبلل والملتصق برأسها، وبعينين كبيرتين تبرزان وجهها الشاحب. رفعت طرف المنشفة لتجفف الماء من على وجهها وعنقها، وهي تراقب نفسها بحذر، وكأنها خائفة من ان تنهار إذا شدت بقوة. لقد سمعت، وربما قرأت في مكان ما ان معرفة المرأة تبرز من عينيها. لكنها لم تر سوى الاضطراب والألم.
لن يحصل هذا مرة ثانية. فكرت، وهي ترفع ذقنها متحدية. من الآن وصاعدا، لن تسمح لأحد بجرحها او إهانتها. لقد أصبحت الآن زوجة لآلان دي كورسي، من دون إرادتها بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى. عرفت الآن اسوأ ما قد يحصل لها. ولا تعلم ما الذي سيحصل معها في المستقبل... لن يقول احد بعد اليوم بأنها ليست سيدة.
مضى وقت طويل قبل ان تجبر نفسها على العودة الى غرفة النوم، ولكن عندما فعلت كان آلان قد خرج منها.
دست نفسها تحت الملاءة حتى عنقها. اطفأت النور، ثم لفت نفسها بوضع دفاعي وذراعاها تطوقان جسدها. زاد الألم في داخلها، لكن ماذا عليها ان

تتوقع غير ذلك؟ كل السحر... والاعتبارات التي أظهرها الآن لم تكن سوى مظهر كاذب. لست وحشا. هذا ما قاله لها في لاودن. لكنه كذب. وهو اسوأ من ذلك كان... حيوانا.
قال صوت في داخلها وأنت ماذا عنك؟ لقد رميت الشراب على وجهه، ضربته، وحاولت خدشه باظافرك، هل من المفروض ان تتساءلي عن تصرفه الوحشي؟ انت ايضا كنت غاضبة، ليس منه بل من نفسك، لأنك كنت تتمتعين بما كان يفعله بك... انت التي رغبت فيه، لكن كبرياءك منعك من ذلك. حاربته بدل ذلك، وخسرت.
تحركت فيليبا بتململ في السرير ورأسها يتقلب على الوسادة. حاولت ان تمنع نفسها من التفكير في الآن... لكنها لم تقدر.
كلا، لم يكن الوضع كذلك. كان حقيراً... لقد أجبرني. إنني أكرهه. بتأوه انقلبت على معدتها، لتدفن وجهها في الوسادة. صرخت بصمت تبا عليه.
مرت ساعات قبل ان تغرق في نوم عميق. عندما استيقظت كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحا.
فتح باب غرفتها، وهي تحاول الجلوس. وكما كان مفترضا ظهرت السيدة جيسكار بصينية الفطور.

قالت فيليبا بالفرنسية:«شكرا.» وهي تشد الغطاء عليها:«وآسفة إذا سببت لك أي إزعاج.»
رمقتها مدبرة المنزل بنظرة ذهول مهذبة وقالت:«انا في خدمتك يا سيدتي.»
توجهت مدبرة المنزل نحو خزانة الثياب واختارت رداء ثم أحضرته إليها بوجه خال من أي تعبير. وقالت:«ترك السيد دي كورسي البيت منذ بضع ساعات، سيدتي. وقد طلب مني ان اخبرك بانه سيتناول الغداء معك.»
شكرتها فيليبا مرة ثانية بهدوء، والدم يتدفق الى وجهها، وهي تراقبها تخرج من الغرفة.
إن تصرف هذه المرأة يشير الى انها معتادة تقديم الفطور لفتيات آلان دي كورسي الجميلات. وحقيقة أنه متزوج بشكل رسمي لم يغير شيئا.
شربت فيليبا عصير الدراقن، ثم تذوقت شراب الشوكولا الساخن، وفطيرة كانت مغلفة بمحرمة من دون أي شهية.
خلال ساعات الاستيقاظ وبعد تفكير طويل، تاكدت من انها اوقعت نفسها في فخ، وعليها ان تتحمل وحدها مسؤولية ذلك. مهما يكن زواجها مشؤوما، فهي لا تستطيع التراجع الآن مع ان كل عصب فيها يحثها على ذلك. لكن المال سيتوقف عن كيفين، أفهمها آلان ذلك بوضوح الليلة السابقة. إذا عليها ان تتخطى الأيام... وتتحمل الليالي بطريقة ما.

استحمت بسرعة ثم ارتدت تنورة خمرية اللون وقميصا ملائما. كانت ما تزال شاحبة اللون، وتحيط عينيها دوائر سوداء، لكنها لم تحاول إخفاءها بأدوات الزينة. بدت كأي فتاة بعد ليلة زفافها... ما عدا إن معظم العرائس متألقات.
كان صباحا طويلا. اكتشفت فيليبا بأن الوقت يمر بسرعة في محيطها الجديد، ولا يحتاج الى تدخل منها. كانت متأكدة من ان مدبرة المنزل السيدة جيسكار سترفض أي مساعدة تقدمها لها.
تجولت في الشقة بقلق وتوتر. على الرغم من المناظر الخلابة المطلة على باريس من خلال النوافذ والتي لم تلاحظها ليلة البارحة، وجدتها عادية جدا وتساءلت إذا كانت ستشعر يوما بالراحة هنا.
لكنها لن تمضي بقية حياتهاوهي تحدق الى هذه المناظر. يجب ان تشغل نفسها بطريقة ما حتى لا تفكر بآلان.
عندما اقترب موعد الغداء، ازداد توترها. جعلها صوته في الرواق تخطو بسرعة الى أحد مقاعد غرفة الصالون. أثنت قدميها على المقعد، تظاهرت بقراءة مجلة، وهي تأمل ان تبدو هادئة ومسترخية.
سمعت خطواته تقترب منها، وثبتت نظرها على الصورة الموضوعة في حضنها حتى شعرت بأنها تتراقص أمامها بجنون.
«صباح الخير.» اضطرت لأن تنظر إليه، عندما

حطم الان الصمت. بادلته التحية وانزعجت عندما وجدت نفسها تتلعثم.

«كيف كان صباحك؟» وجلس بقربها على الأريكة المخملية.

«جيد... وأنت؟» وتساءلت بشكل هستيري، هل هكذا ستكون اللعبة، ثرثرة لا قيمة لها؟

«مشغول.» ثم قال بعد دقائق:«هل احضر لك شيئا؟»

«عصير الإجاص... إذا أمكن.»

قال بتهذيب:«ستجدين كل ما تطلبينه.»

جلست فيليبا وهي تحكم قبضتها على الكوب الذي أحضره لها. سكب لنفسه كوبا من العصير، قبل ان يستعيد مكانه قربها ويحذر.

قال بعد صمت طويل:«بالنسبة لليلة البارحة...»

«الافضل ان نتجنب الموضوع.»

«اعتقد هذا ضروريا.» كان اعتراضه لطيفاً ولكنه عنيد. «تصرفي كان وقحا. لا استطيع سوى ان أقدم أسفي الشديد.»

كان تعبير وجهه بارداً كصوته. لاحظت ان هناك علامة على خده نتيجة غرز احد اظافرها. عندما اختلست النظر اليه.

«حقا لا يهم. انا زوجتك، وكان علي ان اتوقع... شيئا من هذا القبيل.» اخذت نفسا عميقا. «قلت إنك تريد وريثا. حسنا، ربما حصل،

وستتمكن عندئذ من تركي وحيدة في المستقبل.»

قال الان باقتضاب:«اشك، يا زوجتي، في ان تسير الأمور بشكل مريح. على كل حال، لنأمل ان تكوني على حق.» وارتشف بقية كوبه، ثم جلس للحظة وهو يحدق الى كوبه الفارغ.

كان وجهه خاليا من أي تعبير، لكن فيليبا لاحظت فجأة وبخوف غضبا في عينيه يفوق كل ما خبرته البارحة. حتقا يكاد يكون ملموسا. كان يخالجها شعور غريب، كأن قطعة الكريستال الناعمة التي في يده ستتحطم في أي لحظة على الموقد، وتنتثر شظاياها البراقة في كل أنحاء الغرفة.

أصدرت صوتا خفيفا، ثم رفعت يدها عفوياً لتمسك ذراعه. فرمقها بنظرة، وشبعرت بالتوتر يُخمد بينهما تماما وبسرعة، كأن سلكا كهربائيا قد فصل. وضع الآن كوبه على المنضدة، ثم وقف. ابتسم لها من دون ان ينظر إليها. قال:«إني اشعر بالجوع، هل نذهب لتناول الطعام الآن؟»

اومأت برأسها من دون كلام. تركا الغرفة وعبرا الرواق الى غرفة الطعام، في الوقت الذي احضرت فيه مدبرة المنزل جيسكار الحساء.

أكملت الوجبة بصمت تام. راقبت الان خفية عبر الزهور المنعكسة من خلال بريق الطاولة المصقولة. لقد اكتشفت ليلة البارحة، كم يمكنه ان يكون قاسيا، وعلى حساب كرامتها. لقد عرفت الآن

ان طبعه حاد ايضاً. تساءلت عما ستكشف عنه الاسابيع والأشهر.. او حتى السنوات القادمة.
قال:«لم تاكلي شيئا، ألم يعجبك الطعام؟»
«آه، كلا، إنه رائع. إني متعبة فقط..» توقفت فجأة وهي تشعر بتورد خديها، وتتوقع ردا ساخرا منه.
قال:«خذي قسطا من الراحة بعد الظهر. عليك ان تبدي متألقة في السهرة، تذكري هذا.»
حافظت على ثبات صوتها:«من الصعب ان أنسى في هذه الظروف.»
«هذا صحيح. لسوء الحظ ليلة البارحة لم تكن رائعة... لكلينا.» كانت ابتسامته باردة. «سأحاول التصرف بلباقة اكثر لاحقا. لا عليك ان تخافي وجودي عندما نعود. أعدك بأن اتركك في سلام.»
ردت بشيء من التردد:«شكرا.»
«ليس عليك انتظاري، إذا انهيت طعامك لِمَ لا تأخذي قيلولة؟»
دفعت بكرسيها الى الوراء، وهي تتمتم شيئاً لا علاقة له بحديثهما.
اغلقت باب غرفتها وأسندت نفسها إليه، وهي تحملق في السرير. إنها في أمان الليلة، لكن هذه ضمانة موقتة.عاجلا أم آجلا سيفتح باب الغرفة، وسيتوقع منها استسلاما تاما له... وستسمح لنفسها بأن تستغل، لأنها اشتريت ودُفع ثمنها، وهو يريدها مقابل ماله.

اغرورقت الدموع في عينيها، وشعرت بتقلص في حلقها. قالت بصوت عال للفراغ الذي يسود الغرفة:«لا اعتقد انني استطيع تحمل ذلك.»

www.liilas

الفصل الرابع

كانت فيليبا تلهث بتوتر، وهي تجلس الى جانب آلان في تلك الامسية في سيارة الليموزين، التي انطلقت بهما بسرعة مفرطة عبر شوارع باريس الى ضواحي المدينة حيث يعيش لويس دي كورسي مع عائلته.

كان المنزل متوارياً وراء جدار عال. استطاعت فيليبا ان ترى بعض قمم المداخن القبيحة، وهما ينتظران الابواب الالكترونية حتى تمنحهما إشارة الدخول.

تمتم آلان في أذنها: «لدى عمي هوس من اللصوص. يشعر أنه إذا لم يكن حذراً حتى ولو دقيقة، سيقتحم اللصوص منزله ويسرقون مجموعة خزفه الصينية العديمة الذوق، او يعتدون على ابنة عمي سيدوني. اعتقد أنه يغالي في تقدير نوع كهذا من الرجال.»

لم تضحك فيليبا. بل مسّدت ثنية تنورتها الخضراء القصيرة بيد مرتعشة. تميز فستانها الحريري بعنق دائري وبكمين طويلين، وتمنت ان يناسب فستانها هذه الأمسية بشكل كاف. كان ارتداء ملابس هذه الأمسية غير المرغوب فيها بمثابة ارتداء زي مسرحي حيث كانت هي الممثلة

البديلة، ومع ذلك متوقع منها تأدية دور الشخصية الرئيسية.

الثياب مناسبة، فكرت فيليبا، بينما كانت السيارة تسير على الطريق الخاصة بين مشاتل الزهور.

بدا البيت جامداً ومملاً. كان هناك عدد كبير من السيارات الراكنة الى جانب الطريق الخاصة.

أحست فيليبا بانزعاج آلان الذي كان يشتم في سره.

قال بتوتر: «يا له من عشاء عائلي هادىء!» ثم نظر الى فيليبا وهو يهز كتفيه: «إني آسف، لم أنوِ ان اخضعك لمناسبة كهذه بهذه السرعة.»

رفعت فيليبا ذقنها و أكدت له بفظاظة: «لن أتكلم إلا عند الضرورة، ولن استعمل إلا السكاكين المناسبة.»

«انت تعرفين جيداً انني لم أقصد ذلك.»

فتح الباب خادم في سترة بيضاء، حياهما بطريقة جليلة وأخبرهما ان السيد دي كورسي وزوجته ينتظرانهما في غرفة الاستقبال.

سأل آلان: «هل نحن آخر من وصل يا غاستون؟»

ثم رتب ربطة عنقه.

أكد له غاستون: «على الاطلاق، يا سيدي.» وهو يقودهما عبر رواق مزخرف باتقان.

شبك آلان أصابع فيليبا الباردة بأصابعه، وهمس لها: «تشجعي، يا جميلتي.» عندها فتح غاستون

باب الصالون المزدوج وأعلن عن قدومهما. عم الصمت في الغرفة على نحو مفاجيء. وأصبحت فيليبا محط أنظار الجميع. سوّت كتفيها وهي تشعر بتورد وجنتيها. لاحظت بعد ان ألقت نظرة ثانية حولها، ان الغرفة تحتوي على أكثر من عشرين شخصا، وأن أحدهم يتقدم نحوهما.

لويس دي كورسي رجل متين البنية متوسط الطول، أصلع بعض الشيء وله لحية أنيقة. ابتسم لهما من بعيد. بدت عيناه الداكنتان قاسيتين.

أحنى رأسه ليطبع قبلة على يد فيليبا. قال:«ابنة أخي الجديدة، إني سعيد جدا بلقائك. ما كان يجب ان يخفيك كل هذه المدة، او على الأقل كان من المفترض ان يوجه لنا دعوة لحضور زفافكما. كنت آخر من علم به... لن اسامحكما ابدا.» شعرت فيليبا بالاحراج. لكن الآن قد سبق وحذرها من هذا التعليق.

قالت:«اجبرتنا صحة والدي الضعيفة على ان نجري الإحتفال بشكل هادىء وسري.»

قال لويس دي كورسي وهو يبتسم:«هادىء فعلاً. لم يكن لأي من اصدقائي في لندن أي فكرة عن هذا الزواج.» واستدار ليشير الى أحد الأشخاص بالقدوم:«جوزفين، اسمحي لي ان أقدم لك عروس الآن. سيدوني، تعالي ورحبي بابنة عمك.»

لم تبد السيدة دي كورسي أي حماس بهذا اللقاء

غير المتوقع. صافحت فيليبا بتفور ثم أخلت السبيل لابنتها.

فكرت فيليبا في البداية ان سيدوني دي كورسي هي تماما كما وصفها الآن لها بفظاظة. بدت بشرتها شاحبة، ملطخة ببثور الشباب، وشعرها خشنا ومن دون لمعان. كانت بدينة أكثر مما ينبغي، وساعدها فستانها الاصفر اللون الشاحب المفصل بشكل ضيق على إبراز معالم جسمها.

ابتسمت لفيليبا على نحو مقتضب، لكنها سرعان ما غيرت تعبير وجهها عندما استدارت نحو الآن وقالت:«تبدو في حالة حسنة، يا ابن عمي.» بدا تورد وجنتيها غير لائق. ثم اضافت:«من الواضح ان الزواج يناسبك.»

فكرت فيليبا انها واقعة في حبه وتتألم كثيراً.

قاطعها لويس دي كورسي بلطف:«اسمح لي ان أقدم عروسك الى باقي الضيوف، الذين أتوا خصيصا للقائها. ومع ذلك هذا يوم عظيم لعائلتنا.»

وكابوس لي، فكرت فيليبا وهي تقاد حول المجموعة. كان كل شيء رسميا ابتسمت للجميع بتهذيب حتى شعرت بألم في جوانب فمها.

استهل لويس دي كورسي المقدمات بالانكليزية. وكانت مدركة انها تعامل باهتمام شديد، ولقد كرهت مجاملاتهم. كانت فرنسيتها التي اكتسبتها من خلال رحلاتها مع كيفين أشمل من معلومات

تلميذة عادية. على كل حال، لقد استفادت كثيراً منها لأنها استطاعت ان تترجم لنفسها الهمسات التي لاحقتها في كل مكان. فهمت أنها «صغيرة جداً». وسمعت ثرثرة اكثر، مليئة بالحقد. «لن تتفوق على ماري لور، يا عزيزتي.»

انزعجت لكنها أبقت على ابتسامتها. ماري لور. فكرت أنها من المحتمل ان تكون المرأة المتورطة، مع آلان. على الأقل، لديها الآن اسم ترفقه بذلك الصوت المثير على الهاتف.

كانت قد انتهت من جولة التعارف عندما فُتح الباب، وأعلن غاستون عن وصول آخر المدعوين، رجل أشيب الشعر طويل له شارب عريض، وامرأة أصغر سناً، شقراء وجميلة جداً. أبرز فستانها، الأسود الحريري والغالي الثمن، مظهرها المثير.

«البارون رينيه سومر فيل وزوجته البارونة ماري لور سومرفيل.»

لم تكن الغرفة فقط هادئة، لاحظت فيليبا. بل كانت مشحونة بالتوتر، وبنوع من الترقب المثير الذي كاد ان يكون ملموساً. كانت تشعر ان الجميع يحبسون انفاسهم. نظرت الى آلان الذي كان يقف على مقربة منها بارتياب. فكرت للحظة أنه قد جمد في مكانه. بدا شاحباً من شدة الغضب.

اسرع لويس دي كورسي نحوهما وهو يبتسم بشدة ويداه ممتدتان للترحيب بهما قائلاً: «عزيزي، يا لها

من متعة لأنك استطعت انت وزوجتك الساحرة الانضمام إلينا! هذه مناسبة مفرحة، انت تفهمني. اننا نحتفل بزواج ابن أخي آلان من فتاة انكليزية صغيرة و فاتنة. اسمح لي ان أقدمها إليك.»

لاحظت فيليبا ان آلان وصل الى جانبها. أصبح وجهه جامداً، لكنها شعرت بغضبه الشديد عندما أمسك بيدها وقادها الى الأمام.

فكرت باشمئزاز، هذه المرأة... هذه البارونة هي صديقة آلان. هذه ماري لور. لقد خطط عم آلان جيداً حتى يحرجهم جميعاً. دعا البارونة وزوجها الى العشاء الليلة ليفرض هذه المواجهة، ولتنشط الشائعات ثانية، وليدمر حياة آلان كلياً.

كان البارون يسحب نفسه وهو يشعر بالإهانة، وملامح وجهه باردة كالجليد. قال: «يا عزيزي دي كورسي، هذه مناسبة عائلية والأفضل ألا اتدخل انا وزوجتي. اسمح لنا بالانسحاب كي نتفرغ كلياً... لاحتفالك.»

لاحظت فيليبا، هذا ما أراده لويس دي كورسي تماماً، لقد خطط ببراعة حتى ينسحب البارون لشعوره بالاحراج، ليسبب فضيحة ثانية، يستغلها في اجتماع مجلس الشركة الطارئ.

تقدمت فيليبا نحوه قليلاً، ثم ابتسمت وقالت بفرنسية صحيحة: «ارجوك، لا تذهب يا سيدي، اني استمتع بوقتي كثيراً، وسأشعر بالانزعاج لو

ان احدهم ترك قبل الموعد المحدد.» جعلت صوتها يبدو مثيرا وهي تتابع:«الى جانب ذلك هناك العشاء الذي أعد بمناسبة زواجنا لهذا ستبقى وتشاركنا بهذه المناسبة.»

توقف البارون قليلاً، ونظرته المحدقة تنتقل بين فيليبا وآلان. قال اخيرا:«من يستطيع ان يقاوم هذه الدعوة الرائعة، يا سيدتي، يسعدني ان اشارك بها. هيا يا ماري لور.» امسك ذراع زوجته ثم قادها الى الداخل.

عندما تجاوزتهم البارونة، تنشقت فيليبا رائحة العطر المثيرة ولاحظت انها اختلست إليها نظرة سريعة شاملة تقييمية. يبدو ان ماري لور سومرفيل تشارك الرأي الاجماعي، وهو ان فيليبا لا يمكن ان تتفوق عليها.

احست فيليبا بالغضب يسري في عروقها، وبشيء آخر لم تستطع تحديده. من المحتمل ان آلان قد ناقش زواجه معها وأخبرها عن الاتفاقية. لكن هذا لا يعني انها استحقت احتقار المرأة الاخرى. حدثت نفسها بقساوة. من هي ماري لور حتى تنتقدها... او تحاكمها؟ وعلى أي اساس تزوجت هذا البارون الذي هو بعمر والدها؟

شعرت فيليبا بالارتياح عندما أعلن غاستون عن بدء العشاء. كانت وجبة مملة وطويلة. افترضت فيليبا ان الطعام شهي، لكنها لم تتذوق سوى القليل.

ارادت ان تتحدث الى آلان، لتقول له ان زواجهما الزائف لم يخدع احدا حتى هذه اللحظة. لكنه كان جالسا الى الطرف الآخر من الطاولة.

قالت جوزفين دي كورسي:«اخبرينا، يا عزيزتي.» وهي تميل رأسها نحو فيليبا بعينين جامدتين «انت وآلان... قصتكما رومانسية جدا... وسريعة ايضا! ومذهلة فعلا. والسؤال الذي نود جميعا طرحه... كيف التقيت بآلان؟»

ادركت فيليبا بحزن انها كانت محط اهتمام مرة ثانية، فأجبرت نفسها على الابتسام وقالت:«هل هي فعلا سريعة؟ اشعر وكأنني عرفت آلان دائما. التقينا بواسطة والدي، كيفين روسكو، رسام تميز بلوحاته الطبيعية. اشترى آلان إحدى لوحاته... جسر مونتاسكو.»

خيم صمت عميق. اختلست فيليبا النظر الى آلان الذي بدا منهمكا بتقشير التفاحة.

قال لويس دي كورسي:«إذا انت ابنة فنان. ربما ستزودينا ببعض من الثقافة الفنية المفقودة في عالمنا التجاري الجاف.» وضحك بحماس وبتشجيع من بعض المدعوين تابع:«هل تشاركينه اهتمامه في الرسم، يا عزيزتي؟»

«اهتمامه، ربما، لكن القليل من موهبته مع أنني كنت تلميذة معهد فنون عندما قررنا انا وآلان ان نتزوج.» وتابعت بهدوء:«في الواقع، انا افكر

بمتابعة دراستي في باريس مع... زاك غوردانو.»
قال لويس دي كورسي ببطء:«هذا رائع. لدى السيد غوردانو سمعة طيبة كمعلم.»
هزت فيليبا كتفيها بلا مبالاة:«اتمنى لو استطيع إقناعه بقبولي كتلميذة عنده.»
قالت سيدوني بغظاظة:«لا داعي للقلق بعد اليوم. بصفتك السيدة دي كورسي، ستتفتح كل الابواب لك.»
قالت فيليبا ببرود:«ليس مع زاك. كل ما يهمه هو الرسم وليس المكانة الاجتماعية.» اضافت بصوت خافت وهي ترجع رأسها الى الوراء:«ربما يساعدني كونه صديقا لوالدي.»
علق لويس:«من الواضح يا ابن أخي ان زوجتك صاحبة موهبة مهمة.»
قال آلان بلطف:«كل يوم أمضيه معها يخبأ لي مفاجأة جديدة ومبهجة.» رمقته فيليبا بنظرة مبهمة من تحت رموشها. لم يكن وجهه معبرا كثيرا، لكنها أحست بإعجابه بكلامها المندفع.
بعد انتهاء العشاء، انتقلوا الى قاعة الاستقبال. كانت الاحاديث متقطعة ومملة. بدا كل واحد منهم مقتنعا بعدم حصول أي مفاجآت بخلاف ما توقعوا ووُعدوا. كان البارون وزوجته أول من غادر، ولم يمض وقت طويل حتى أعلن آلان عن رغبته في الانسحاب.

سأل عمه:«بهذه السرعة، هل مللت؟»
«مازلنا، انا وزوجتي في شهر العسل، انا متأكد من ان الجميع سيتفهم وضعنا.»
بدأت فيليبا تشعر بالارتياح عندما وجدت نفسها في سيارة الليموزين وهي تنطلق بهما الى الشقة. قالت بانفعال:«كانت أمسية مروعة.»
«والتي عالجتها برباطة جأش. ارجوك تقبلي شكري.» ثم تابع:«بالطبع فهمت في الحال لماذا دعانا عمي الليلة.»
«كان الأمر واضحاً.» اخذت فيليبا نفساً عميقاً الم صدرها وقالت:«انها جميلة جدا... السيدة سومرفيل.»
«نعم.»
لم تفهم فيليبا حقيقة شعوره ولم تستطع قراءة تعبير وجهه بدقة بسبب الظلمة. لم يضف شيئا، وبعد دقيقة او دقيقتين تنهدت فيليبا بصمت وأرخت نفسها كليا على المقعد مستسلمة لرحلة صامتة.
عندما وصلا الى الشقة استأذن آلان منها بتهذيب ليتحدث إلى آل جيسكار. توجهت فيليبا مباشرة الى غرفتها لأنها احست بصداع خلال الامسية، لم تخفف رحلة العودة من حدته.
من الواضح أنه يفكر في تلك المرأة، اعترفت فيليبا لنفسها وهي تنزع الثياب عنها وتنظف وجهها من

مستحضرات التجميل. لا بدّ أنه احس بالإهانة عندما واجه صديقته وزوجها، ولا بد ان رؤيته لها انعشت ذكرياته، وزادت من مرارة انفصالهما القسري.

لم تلاحظ أي تبادل نظرات بينهما، او حتى كلمة واحدة، إلا إذا كانت لديهما طرقهما السرية الخاصة بالعشاق. من المحتمل انهما ينويان المضي في علاقتهما في وقت ما في المستقبل. لكن على الآن ان يكون حذراً، فكرت.

البارون رجل غيور مرتاب ولن يتردد في الانتقام لنفسه علانية. وربما يكون انتقامه هذه المرة نهائيا.

من الآن وصاعداً على الآن ان يعالج اموره بنفسه. كل ما تريده هو ان تتمدد على السرير وتغرق في نوم عميق.

لم تكن قبلولتها ذلك النهار اكثر من نوم خفيف مقلق، قطعته بعض الأحلام المزعجة. لم تستطع ان تمنع ذكريات... وصور تلك الامسية السابقة من تملك تفكيرها. او ربما لم ترد فعلا ان تنسى...

توردت وجنتاها وشعرت بقلبها يخفق بصوت عالٍ.

لا يمكن ان يكون الأمر كذلك.

كل ما في الأمر انها كانت تعبة ولا تقوى على أي تفكير منطقي.

كانت تقف في ثيابها الحريرية، وبقدم واحدة

على المرينة تحاول ان تنزع عنها جوربها الرقيق عندما سمعت طرقا خفيفا على الباب، ودخل آلان. توقف في الحال، رفع حاجبيه بإعجاب تام عندما لاحظ طريقتها في نزع الثياب.

تمتم: «أسف.» وهو مدرك تماما تطفله.

استعادت فيليبا توازنها بسرعة بعد ان أحست بلهيب يسري في عروقها. اخذت رداءً قطنيا وارتدته.

سألت بامتعاض: «هل كان من الضروري ان تقتحم غرفتي بهذا الشكل؟»

هز كتفيه بلا مبالاة: «لم أظن انك ستبدأين بنزع ثيابك بهذه السرعة. وأريد ان اتحدث إليك. هل تنكرين عليّ حقي في ذلك؟»

«كلا. ألا يمكنك الانتظار حتى الصباح؟ اني متعبة ومتوترة بعد هذه الأمسية...»

«إني اعتذر بالنيابة عن عمي.» كان صوته كئيبا: «سيذهب الى أبعد الحدود، على ما يبدو حتى يحرجني ويشوه سمعتي. هذه المرة فقط ويفضلك انت، لم تنجح خطته.»

«ربما ستنجح في المرة القادمة.» اخذت فيليبا الفرشاة وبدأت تسرح شعرها. لم تنظر الى آلان.

«لم نخدع احدا بقصة زواجنا. الجميع يعرف ان علاقتك بالبارونة مستمرة.»

قال آلان بسخرية: «يا لهم من أذكياء. إذاً علينا

ان نجد طريقة لاقناعهم بأنهم على خطأ.»
علقت هذه الكلمات في الصمت الثقيل. ثم قال فجأة:«ماذا عنيت بمتابعة دراستك الفنية؟»
قررت ألا تخبره بأنها طرأت على بالها فجأة. ليعتقد انه قرار مدروس
قالت:«تماما كما قلت. كان أبي دائماً يرغب في ان أدرس الرسم مع زاك غوردانو.»
«وماذا عن رغبتي أنا؟ ألم تأخذيها بعين الاعتبار ابدا؟»
حدقت فيليبا إليه بعينين هادئتين:«وما الذي سيزعجك لو أنني بدأت بالرسم ثانية؟»
«الافضل ان... تؤجلي مشاريعك لفترة. حتى تتفرغي لدورك كزوجة لألان دي كورسي، ربما.»
توهج وجهها فجأة وسارعت تقول:«لا تكاد دراستي تملأ فراغي. وهناك من يدير الشقة، ولا أعتقد ان ال جيسكار سيرحبون بتدخلي.»
«لم اعن ذلك ابدا. هناك جوانب أخرى من علاقتنا، بالإضافة الى إدارة الشقة.» كانت فيليبا صامتة لعدة دقائق ثم قالت بهدوء:«اعتقد انني تعلمت كل ما احتاجه بالنسبة... لذلك ايضا.»
قال بصوت ناعم:«كلا، يا حبيبتي. لا اعتقد انك بهذه السذاجة.» تقدم نحوها ثم أخذ الفرشاة من يدها المرتعشة ووضعها على المنضدة. اطبق يديه على يديها وإبهامه يداعب معصمها على نحو

عبثي:«هناك فن ايضاً، يا زوجتي، ودروسك في الأمس لم تكن سوى البداية.»
ابعدت يديها عنه وقالت::«اعتقد انك تمزج الحب بالواجب. هل لي ان اذكرك بانك وعدتني ان تتركني في سلام الليلة؟»
ابتسم لها:«لقد اسديت لي خدمة عظيمة اليوم، يا فيليبا، عندما اقنعت هنري بالبقاء. ألا تسمحين لي حتى ان اشكرك بعناق؟»
هزت رأسها وقالت بجدية:«لقد عقدنا صفقة. وقد التزمت بها... على الأقل من ناحيتي انا.»
قال بعد لحظة صمت:«كما تريدين. على كل حال، اتمنى عليك ان تعيدي النظر في مشاريعك الفنية.»
رفعت ذقنها تحدياً:«كلا. إني بحاجة الى ان تكون لي حياتي الخاصة. انا لست سجينتك.»
«لا اظن ان هناك قفصا يسعك.» ثم تابع باقتضاب:«تريدين ان تتحدي رغباتي؟»
«اذا كانت غير منطقية كهذه... حتما.» توقفت برهة:«إني لا أتدخل... بهواياتك. اعتقد ان عليك منحي هذا الحق.»
خيم صمت آخر. قال ألان ببطء:«اعتقد، انه كان علي ان آخذ منك عهدا بالطاعة.»
قالت على نحو حاسم:«كنت سأرفضه.»
«حسنا، إني موافق يا زوجتي. شرط ألا تسمحي

لفنك ان يؤثر على واجباتك الاجتماعية. سأقيم بعض الحفلات في الأسبوع القادم على شرف أعضاء مجلس شركة دي كورسي، وأتوقع منك مساندتي، يا زوجتي المخلصة والمجتهدة.» ثم اضاف بسخرية: «هل اوضحت لك ذلك بشكل كاف؟»

قالتْ وهي تومئ برأسها: «تماماً، لن أخذلك.»

«اعرف ذلك، يجب ان نقنع الجميع بزواجنا.» بدا صوته عميقا، وعيناه الخضراوان تتفحصانها بتقييم حسي. رفع يده وداعب ذقنها، ثم أبعد شعرها عن وجهها، وقال بهدوء: «هل انت متأكدة، يا حبيبتي، من انك تريدين ان تمضي الليلة بمفردك؟»

حاولت ان تتكلم، لكن بدا عقلها وكأنه توقف عن العمل. كان قريبا جدا منها، فكرت وهي شبه مخدرة. كان في صوته رنة مختلفة عن الطريقة التي كان ينظر بها إليها، الابتسامة في عينيه... وجدت نفسها تتساءل بجنون، كيف سيكون الأمر لو انها استسلمت له بملء إرادتها... ومنحته من دون قيود كل ما يطلبه منها. وفي المقابل ستعرف كل شيء... كما عرفت ماري لور... اجتاحتها هذه الفكرة كمطر غامر بارد نقلها من عالم الخيال الى عالم الواقع، وهي تتذكر ما مر بها من أحداث، اليوم.

إنه يريد ماري لور لا هي. لا بد أنه تألم كثيراً

عندما رآها، وها هو الآن يصب غضبه على الفتاة التي جعلها شريكة في أسخف صفقة زواج، لأنها امرأته، ومتاحة له...

هذا آخر ما تستطيع تحمله، وهي بحاجة لأن تتذكر ذلك.

فكرت فيليبا وهي ترتجف، ربما قد سمحت بذلك. ربما سمحت لفضولي ان يقودني الى خيانة نفسي ومبادئي. لأنه بالنسبة لي قد لا ينتهي الأمر عند ذلك الحد. بدلاً من ذلك قد تكون بداية. لم تستطع التفكير من شدة الخوف والرفض. سمعت نفسها تقول بلطف وحزم: «اتمنى ان تتركني في سلام كما وعدت. لست بديلة لصديقتك، يا آلان.»

تجمد في مكانه، وهو ينظر إليها. بدا وجهه خالياً من أي تعبير.

قال بقسوة: «لست بحاجة الى من يذكرني. كما انك لا تشبهينها على الاطلاق.»

افترضت انها استحقت تعبيره، لكن الألم سرى في جسدها على الرغم من ذلك. وجدها جذابة ليلة البارحة، ولكن بمقارنتها مع جمال ماري لور، ليس لديها الكثير لتقدمه له، باستثناء ربما بعض القيم الشخصية.

تابع آلان: «قبل ان اتركك لعزلتك، يا زوجتي العزيزة، يجب ان اخبرك عن السبب الذي دعاني الى المجيء إلى هنا. لقد اتصلت بالعيادة لأطمئن على صحة

والدك. لا يستطيع الاطباء ان يؤكدوا فعالية العلاج في الوقت الحاضر، ولكنهم يودون ان تعرفي أنهم متفائلون.»

حدقت فيليبا في السجادة، وعيناها تترقرقان بالدموع:«شكرا.» كان صوتها لطيفا.

قال آلان بتهذيب:«لا شكر على واجب. من المفيد ان نتذكر تماما لماذا نحن هنا في هذه اللحظة. وسيكون الأمر سخيفا إذا توقعنا من بعضنا البعض أكثر مما يمليه اتفاقنا علينا.»

حاولت ان تبقي صوتها جامدا:«سخيف جدا.»

«إذا كل واحد منا يعرف حدوده.» شعرت بالخوف يسري في عروقها. «لكن افهمي هذا، صفقتنا ستستمر. عليك ان تحذري من مخالفة أوامري في المستقبل. لست بحاجة الى أي تعهد شفهي حتى أجبرك على إطاعتي ولن اتردد في فرض ذلك في هذه الغرفة او حتى أمام الناس إذا اعتقدت ان الأمر ضروري. هناك الكثير من المخاطر.»

اسندت فيليبا نفسها على المزينة وأصابعها تمسك بحافتها المنحوتة بإحكام وقلبها يخفق بسرعة. قالت على نحو فظ:«لن انسى.»

ابتسم لها آلان:«حسنا، إذا اتمنى لك ليلة سعيدة.»

راقبته وهو يخرج من غرفتها ويغلق الباب وراءه. لا، لن تنسى ابدا، فكرت. لقد منحت وقتا إضافيا،

هذا كل ما في الأمر. لا يمكنها ان تهرب من العقد الذي وقعته مع آلان دي كورسي. يجب ان تتحمل نتائجه ايضا.

www.liilas.com

الفصل الخامس

رجع زاك غوردانو إلى الوراء، واضعاً يديه على وركيه. لم يقل شيئا في البداية، حبست فيليبا انفاسها عندما اومأ برأسه.

قال:«لا بأس بها. انها افضل ما انتجت حتى الآن.»

ابتسمت فيليبا بفرح وقالت:«هذا ألطف كلام سمعته في حياتي.»

رفع زاك حاجبيه الكثيفين:«لقد تزوجت فقط... من شهر؟»

صححت فيليبا:«ستة اسابيع.» وبدا تعبيرها فجأة جافا.

قال زاك بسخرية:«فترة طويلة؟ لا عجب ان شهر العسل والكلام الجميل قد انتهيا.»

ابتسمت رغما عنها:«نعم... حسنا، هل حقا تعتقد ان عملي تحسن؟» توقف زاك وهو يفرك لحيته:«ربما.» تفحصت عيناه الداكنتان وجهها بدقة. «اني أسأل نفسي باستمرار... لما تريدين القيام بذلك؟ لا اعتقد انك بحاجة الى الرسم. انت متزوجة من مليونير، وليس عندك أي مسؤوليات.»

نظرت فيليبا الى اللوحة التي على المسند:«هل هذه مشكلة؟» «لا بد ان هناك سرا... ماذا عساي

ان أقول؟ انت كتومة جداً... وهذا سيمنعك من الرسم بحرية. ما زلت في بداية الطريق، والأفضل لك ان تتراجعي قبل فوات الأوان. إذا اسألك ثانية... لماذا تهتمين؟»

بدت فيليبا منزعجة:«هل انا أضيع وقتي... أم وقتك؟ هل هذا ما تحاول قوله؟»

«كلا، لو فكرت في ذلك، لكنت صارحتك من أول يوم بالحقيقة.»

بقيت فيليبا صامتة للحظة ثم قالت ببطء:«اعتقد أن هناك اسبابا عديدة. اريد ان احقق ذاتي، وأن اثبت لألان ان لي حياتي الخاصة. وهذا ليس بالأمر السهل.» توقفت قليلاً ثم استطردت:«هناك والدي بالطبع. كان دائما يشجعني على الرسم. عندما أكافح لمتابعة دراستي في الرسم هنا، أشعر وكأنني اساعده على محاربة مرضه في نيويورك. ألا يبدو هذا سخيفا؟»

قال بتهذيب:«ابدا على الاطلاق. ما هي آخر أخبار كيفين؟»

تجهم وجهها:«يتحسن ببطء، انني اتصل بالعيادة يوميا. لا يمكنهم التكهن في الوقت الحاضر بالاتجاه المحتمل الذي سيتخذه هذا المرض، لكن كل شيء يسير على ما يرام من دون أي مضاعفات. ما زلت أعيش في الأمل.»

ربت زاك على كتفها:«اتمنى له الشفاء العاجل.

اخبريني سيدة دي كورسي، ما رأي كيفين بزوج ابنته؟»

بلعت فيليبا ريقها بصعوبة: «في الحقيقة، هما لا يعرفان بعضهما البعض جيدا.» راوغت فيليبا في إجابتها.

هز زاك رأسه: «ارغب يوماً ما ان اسمع قصة زواجك، وكذلك سيلفيا. تقول إن في عينيك حزنا عميقا بالنسبة لعروس، مع ان زوجك رجل جذاب جدا، وترغبه النساء كثيرا. هذا ما تقوله سيلفيا.»

هزت فيليبا كتفيها من دون مبالاة: «اعتقد انه يجب على معظم الزيجات ان تمر في فترة تعديل.»

«فهل ينطبق عليك؟»

«اعتقد ذلك. اخبر سيلفيا بألا تقلق عليّ.»

«سافعل.» توقف زاك ثانية ثم تابع: «بما أننا نتحدث عن زوجتي، لقد وعدتني ان تحضر لي الليلة حساء السمك. وتقول انه سيكفينا نحن الثلاثة.»

هزت فيليبا رأسها بأسف: «آه، لا استطيع. عليّ ان أذهب الى حفلة عشاء اخرى مع انني افضل ان ابقى معكما.»

قال زاك: «ربما في وقت آخر. سأراك غداً، يا عزيزتي.»

كانت فيليبا مستغرقة في تفكير عميق وهي تنزل الدرج الذي يفصل المحترف عن الشارع ببطء.

كانت ترى ان عملها مع زال في طور التجربة. تساءلت عما إذا كان موقف الان قد أثر عليها. فعدم موافقته على قرارها بدا واضحا وحازما. مع ذلك ليس بمقدوره ان يتذمر. خصوصا انها تلتزم بالاتفاقية دائما وهي حاضرة عندما يحتاج إليها. لقد بدأت تتغلب على خجلها وتأخذ كامل حريتها في الكلام. لقد لعب الان دوره ايضا ببراعة... لا تستطيع ان تنكر ذلك. كان منتبها ومحبا، كل كلمة وكل حركة عبرتا عن افتخاره بها كزوجة.

اعتادت ان تسمعهم يقولون: فاتنة. فلا احد على حد علمها، حاول ان يقارنها بامرأة اخرى. وبهذه الطريقة كان لديه على الأقل سبب حتى يرضى عنها.

عضت على شفتها. لكن هذا لم يكن بالطبع اساس المشكلة. لكان اعتبر زواجا ناجحا، لو أنه يستمر فقط أمام الناس. ولكن الوضع يسوء عندما يصبحان بمفردهما. لم يتشاجرا او يقوم باي شيء من ذلك، اعترفت بحزن. تمنت لو أنه حصل بينهما بعض الخلافات. كانت في الواقع تجد نفسها احيانا تحرض الان عمدا، حتى تحصل منه على رد فعل. لكن من دون فائدة.

كان دائما لطيفا معها، ولم يغير تصرفه المهذب إلا في المناسبات النادرة عندما يكونا بمفردهما.

فكرت ان عليها ان تكون شاكرة للتقدير الذي اظهره لها. على الأقل لم تكن هناك محاولات مزعجة لمراودتها! لكن الامتنان لم يكن الاحساس الوحيد الذي شعرت به، كانت تشعر بحزن وبفراغ عميقين في كل مرة يتركها. ربما لديه حق شرعي بما يفعل، لكن هذا لا يعني انها مجبرة على ان تحب ذلك. استطاعت ان تقيم لنفسها حاجزا ساعدها... على مقاومة جاذبيته المدمر والذي ما يزال يعذبها. لن تتحمل استسلامها له ولو للحظة. عرفت ذلك لإحساسها الدائم بتوق غريب إليه، ولقد كرهت ضعفها تجاهه.

وما هو دور ماري لور سومرفيل في حياته؟ لا تستطيع سوى التكهن. بالتأكيد كانت هناك ليال لم يعد فيها الى الشقة. لم يقدم لها أي عذر، وهي لم تسأله. كان يعلم بالمخاطر الكامنة في علاقة كهذه.

ألغي اجتماع المجلس الطارئ، والذي كان سيعقد للنظر في شأن آلان. وأجبر لويس دي كورسي على الاعتراف بفشل حملته الهادفة الى إزاحة الان من منصبه كرئيس إدارة مجلس الشركة بعد ان اصبح رجلاً متزوجا محترما. لكن هذا لا يعني انه توقف عن مراقبته والانتظار حتى يرتكب غلطة او هفوة. سيكون استئناف علاقته، مهما كانت سرية، بالبارون الجميلة العذر الملائم الذي يبحث

عنه عمه. فكرت فيليبا وهي تعض على شفتها... حسنا، هذا الجانب من حياة آلان لا دخل لها فيه، أليس كذلك؟

السخرية في ذلك الأمر، هو الحسد العلني، الذي لمسته من معظم النساء. لقد تصورن انها تعيش حياة مترفةسعيدة. لو أنهن عرفن الحقيقة! فكرت، وهي تتنهد بضعف.

بدا الشارع مكتظا بالناس على غير عادته. نظرت حولها ولفت نظرها شابان نحيلان شعرهما اشعث ويرتديان ثيابا رثة. رفعها واحد منهما الى الرصيف، بينما حاول الثاني خطف حقيبتها.

صرخت فيليبا، وهي تتشبث بالرباط، وتسمع في مكان ما قربها صوت رجل آخر. أرخت فجأة قبضتها عن الحقيبة ورأت اللصين يختفيان في الشارع الثاني.

ساعدها الرجل بلطف على الوقوف، وجمع اغراضها المبعثرة على الرصيف. سألها: «هل انت بخير، يا آنسة؟»

«نعم، شكرا.» كانت ركبتا بنطالها الجينز ممزقتين، والدم يتدفق منهما. ستتصبحان كدمتين غدا، فكرت وهي تسند نفسها على الحائط وتحاول ان تستعيد انفاسها وتلقي نظرة أولى على منقذها.

شاب جذاب شعره اسود. بدا قلقا على الرغم من ابتسامته وهو يناولها الحقيبة. تابع الشاب: «لكنها

كانت صدمة لك. هناك مقهى في آخر الشارع. ما رأيك في تناول فنجان قهوة أو... شراب؟»
ارتاحت فيليبا عندما قدم لها ذراعه. لأنها كانت تشعر بألم في قدمها كلما تحركت. كان المقهى على بعد مئة متر. اجلسها الى اول طاولة ثم استدعى الخادم بنقرة من اصابعه. احضرت القهوة والشراب بسرعة فائقة.
سألها وهي ترشف القهوة: «هذا افضل؟»
ترددت فيليبا: «بكثير. إني ممتنة لك، يا سيد..؟»
«فابريس دي ثيبري، في خدمتك، يا آنسة.»
توردت وجنتاها: «في الواقع، سيدة دي كورسي، فيليبا دي كورسي.»
بدا مندهشا، ثم تحول تعبيره الى أسف: «تبدين صغيرة جدا لتكوني امرأة متزوجة.»
«إني ادرس الرسم مع رآك غوردانو. كان الشارع دائما هادئا، لم اتصور ابدا...»
«بالطبع. ربما كانا يراقبانك... املين مباغتتك.»
قالت بصرامة: «إني اتساءل عن السبب. ليس معي أي شيء له قيمة حقيقية في حقيبتي. اني لا احمل سوى بضعة فرنكات.»
قال: «عندما يكون الانسان مفلساً يجد بضعة فرنكات مبلغا كبيرا.» تابع: «اخبريني عن رسمك.»
ازداد تورد وجنتيها: «إنه عمل موقت. هل انت تهتم بالرسم؟»

قال: «إني اهتم بعدة أمور. لكنني أعمل الآن في مجال المحاسبة.» احنى رأسه الى الامام: «تبدين حزينة هل تأذيت، ربما أكثر مما قلت؟»
هزت فيليبا رأسها: «كلا... حسنا، لكن... زوجي لم يوافق على فكرة الرسم، والآن بعد هذا الحادث سيصر على ان استعمل السيارة مع السائق الخاص، وهذا سيحد من حريتي.»
«وهل يهمك ذلك؟»
«كثيرا.» أجبرت نفسها على ابتسامة ندم. «لقد سرق اللصان أكثر مما لاحظا.» وضعت فنجان القهوة على الطاولة، ثم نظرت الى ساعتها: «يا للهول! لقد تأخرت في الذهاب الى البيت يجب ان اجد سيارة أجرة...»
«لدي سيارة، هل لي ان اوصلك الى مكان ما؟»
ترددت فيليبا: «لا أحب ان افرض نفسي... لقد كنت لطيفا معي.»
قال وهو يشير الى النادل ليحضر الفاتورة: «أي شخص كان فعل ذلك. ما هو عنوانك؟»
رفع حاجبيه بسخرية بعد ان اخبرته: «إذاً انت زوجة ذلك الرجل دي كورسي؟» اومأت برأسها: «هل هذا يعني انك غيرت رأيك؟»
«لا، لكن زوجك على حق. من الخطر ان تسيري في شوارع باريس من دون حماية. لكنني سآخذك الى البيت مباشرة. ربما لن يغضب كثيراً.»

قالت فيليبا عندما اقتربت سيارته من المنزل: «علي ان اشكرك ثانية لإنقاذي.»

«هذا من دواعي سروري.» وامسك يدها، وطبع عليها قبلة. ابتسمت عيناه لها. تابع: «مازلت اعتقد انك صغيرة على الزواج. الى اللقاء، سيدة دي كورسي.»

«الى اللقاء سيد دي ثييري.» شعرت فيليبا بلهاثها وهي تترجل من السيارة. من الممتع ان يعامل المرء كشخص جذاب وليس كشخص مفيد فقط، فكرت وهي في المصعد. عندما وصلت الى الباب، لاحظت بخوف ان المفاتيح ليست معها. لا بد أنها وقعت، ولقد افتقدتها عندما كنت اجمع الاغراض. فكرت، وهي تضغط على الجرس الكهربائي.

فتحت السيدة جيسكار لها الباب بتكشيرتها المعتادة. «لقد سأل عنك السيد.» اتسعت عيناها: «ماذا حصل؟ ثيابك ممزقة وهناك دم.»

«حاول احدهم خطف حقيبتي لكن لحسن حظي أوقف عند حده في الوقت المناسب.» حاولت فيليبا تغيير الموضوع: «انا آسفة إذا كان السيد ينتظر. سارتب نفسي حالا.» وتوجهت الى الحمام لتأخذ دشا.

كانت قد عادت الى غرفة النوم في ثيابها الحريرية وأخذت تضع بعض المساحيق على وجهها عندما فتح الباب من دون انذار.

قال بصوت قاس: «لم استوعب كلام هنرييت. هل تعرضت للسرقة فعلا؟ كيف حدث ذلك؟» تنهدت فيليبا. الآن ستبدأ الاتهامات.

«كنت خارجة من محترف زاك عندما حاول رجلان سرقة حقيبتي، ثم ظهر رجل آخر ساعدني على التخلص منهما.» اضافت بهدوء: «لم يأخذا شيئا.»

رفع آلان حاجبيه: «لا يمكن ان تكون فعلتهما مقصودة، إذا كان حضور شخص واحد ارعبهما. من حسن حظك انه كان هناك.»

وافقت فيليبا بحماس: «نعم، بالتأكيد. كان رائعاً حتى... انه دعاني الى مشاركته القهوة، ثم اوصلني الى البيت.»

وقف آلان بقرب النافذة ثم نظر الى الشارع: «هل تعرفين اسم المنقذ الشجاع؟»

«بالطبع. فابريس دي ثييري.»

«يجب أن أجده... كي أقدم له مكافأة.»

«كما تريد... لكن لا أظن انه يتوقع أي شيء. كان لطيفا جدا.»

ارتعشت فيليبا وهي تمسك بدلتها المطرزة. لقد نظفت جروحها في الحمام، ولكنها مازالت تؤلمها. اقترب منها عابساً: «هل جرحت؟»

«لقد وقعت. الأمر ليس خطيرا.»

«لا اظن ذلك.» أجلسها على حافة السرير ثم

جثا أمامها ليفحص العلامات التي على ركبتيها.
«صدقني، انها ليست خطيرة.»
«هل استعملت المطهر؟ أليس من الافضل ان تضعي بعض الضمادات؟»
«انها خدوش بسيطة، ولم تعد تنزف.» ابتعدت عنه قليلا. «الان ارجوك، اريد ان استعد للسهرة. سنتأخر.»
قال بصوت أجش: «لا داعي للعجلة. ما كان يجب ان يحدث ذلك.»
تحركت بقلق، ولكن يديه اوقفتها.
«لا تهربي.» اصبح صوته غاضبا: «هل تجدين لمستي بغيضة فقط، أم انك جفلت ايضا من ذلك الغريب؟»
«الأمر... مختلف. كان... لطيفا.»
«هل هذا ما كنت تريدينه من الرجل، يا زوجتي البريئة... فقط... اللطف؟» انتقلت أصابعه فوق بشرتها، فجعلتها تحترق وتتلون.
وضعت فيليبا يديها حول عنقه بمل، إرادتها حتى تشعر بقوته تحميها. طوقهما صمت عميق، لم يقطعه إلا صوت تنفسها.
برغم ان طرق الباب كان سريعا ورسمياً، إلا انه، بدا كضربة مطرقة مزقت رقة عالمهما المبهج في لحظة.
«سيد الان... سيدتي!» كان صوت السيدة جيسكار

«يقول مارسيل ان السيارة اصبحت جاهزة.»
تراجعت فيليبا الى الوراء لتحرر نفسها من ذراعي الان.
«دعني أذهب... يجب أن...»
«ماذا؟» حدقت عيناه الخضراوان بها. «ما رأيك لو أخبر مارسيل بأن يذهب هو والسيارة، ونمضي الليلة هنا؟»
«الجميع يتوقع حضورنا الحفلة.» بدا صوتها مرتعشا. ثم تابعت بسرعة: «لا يمكنك إهانة الناس.» وهي تغطي نفسها: «ما يزال عمك يبحث عن عذر...»
«اعتقد ذلك.» تجاوزها الان بوجه جامد ساخر. «ليس هو فقط من يبحث عن عذر.» وقف أمام المزينة ليمشط شعره المبعثر وليرتب ربطة عنقه. «سأنتظرك في غرفة الاستقبال.»
اخذت فيليبا ثيابها. تتلمس مكان الازرار بأصابع مرتعشة. وضعت احمر الشفاه على شفتيها بسرعة ثم تركت شعرها ينسدل حول وجهها المتورد. وقفت للحظة تحدق الى نفسها في المرآة، وهي لا تصدق ما حدث لها. لو لم تطرق السيدة جيسكار على الباب، لكانت ارتكبت غلطة فظيعة، لا يمكن إصلاحها. لقد جعلها الان تستسلم له بسهولة...
ارتعدت وهي تمسك حقيبتها السوداء. عليها ان

تكون اكثر حذراً من الآن وصاعداً، قالت لنفسها، وهي تتجه الى الصالون.

اقيمت الحفلة في بيت كبير خارج باريس. كان المساء دافئا وأبواب المدخل مشرعة حتى يتمتع الضيوف الأكبر سنا من الآن بمناظر الحدائق الخلابة.

كانت شاكرة لأنها استطاعت ان تهرب الى الحديقة. وكانت تعي نظرات الآن المثبتة عليها وهما في السيارة. لم يتكلما كثيرا، ولقد عرفت ان لقاءهما لم ينته تماما. والآن بعد ان خانتها رغباتها، كانت متأكدة بأن الآن لن يكتفي بعد اليوم بسلبيتها المحرجة، والتي طالما اظهرتها بين ذراعيه.

لم تستطع تفسير ضعفها. لا بد ان الحادث الذي تعرضت له اضعف مقاومتها، فكرت بحزن، وهي تتكىء على المنوّر الحجري، وتمسك كوب العصير.

الآن سيبدأ بمطاردتها... هذا الصياد الذي يعرف ان ضحيته ضعيفة، يأمل ان يحرز انتصاراً نهائيا وسريعا.

تجهم وجهها لانها شعرت بأنها تبالغ في تصوير الأمور. لكن ألا يمكن ان يكون استسلامها للآن موتا بحد ذاته عندما تسمح لنفسها ان تصبح لعبته لساعات عدة؟

بدا جسدها متقلصا بوضوح. هذا أمر لا تستطيع

ان تسمح به... او ان تفكر فيه. لا يمكنها ان تمنح نفسها له. لأنها حالما تفعل سيستملك قلبها، وروحها بيدين قاسيتين جارحتين. والنتيجة ستكون كارثية.

رفعت ذقنها بتحد. لن تكون ضحيته ولا دميته...

«سيدة دي كورسي، لقد بحثت عنك في كل مكان.»

عرفت فيليبا صوت مضيفتها الناعم. تنهدت حتى تهيىء نفسها لتعارف جديد.

«اسمحي لي ان اقدم أحد اعز اصدقائي، السيد جيراردي غريسي. لقد اتى مع ابنته التي تقول انها تشرفت بمعرفتك في مناسبة سابقة.»

استدارت فيليبا ثم ابتسمت لها بتهذيب. لم تلاحظ الرجل الأشيب الذي كان يحني رأسه ليطبع قبلة على يدها. كانت عيناها مثبتتين على المرأة التي كانت الى جانبه في ثوب أزرق مثير.

قالت ماري لور سومرفيل «سيدة دي كورسي.» كانت تبتسم لها بعينيها البنفسجيتين المليئتين بالحقد. «هل تذكرينني جيدا؟»

الفصل السادس

اطلقت فيليبا لهاثاً صامتاً. وفي الوقت نفسه انسل الكوب من قبضتها، وتحطم على البلاط، وتناثرت محتوياته على تنورتها المطرزة.

صرخت مضيفتها مستفسرة عما حصل، وتجاهلت اعتذارات فيليبا المضطربة. قائلة انه من الافضل تنظيف التنورة قبل ان يلطخها العصير بشكل يتعذر إصلاحه. استدعت مدبرة المنزل وطلبت منها معالجة الوضع.

آخر شيء تذكرته فيليبا وهي ترافق مدبرة المنزل هو ابتسامة ماري لور الماكرة والمنتصرة. وتعبير الان المخيف وهي تتجاوزه في المدخل.

استشاطت غضباً من تصرفها وهي تنتظر في رداء قطني ريثما تنتهي مدبرة المنزل من تنظيف تنورتها. لقد تصرفت كالحمقاء. هذا ما سيقوله الان. كان من المفترض ان تبتسم لها وتتجاهلها كلياً.

في الوقت نفسه، ليس لمضيفيها، السيد لوغري وزوجته ضلع في ترتيب هذه المواجهة الثانية بين ماري لور وبينها. كانا لطيفين جداً، وهما من أعز اصدقاء والدي الان، كما انهما زميلان في العمل، ولهما نشاطات خيرية عديدة. ربما لم يعرفا بعلاقة

الان وماري لور. بالطبع من حق والد البارونة ان يطلب منها مرافقته الى عشاء رسمي، إذا كانت زوجته مريضة. كلا، انها فقط احدى الصدف المشؤومة. والآن تصرفها الاحمق، او ردة فعلها المغالية لحضور ماري لور، سيحث الالسن ثانية على الثرثرة، فكرت بيأس.

عادت إليها تنورتها، نظيفة تماماً لكنها رطبة بعض الشيء. استطاعت ان تنضم الى الضيوف في غرفة الطعام. بدأت الاسئلة تنهمر عليها باهتمام وحماس شديدين.

اخبر الان الضيوف عن حادث السرقة، التي تعرضت له ذلك اليوم. في وضح النهار... يا لها من صدمة! يا لهذا الاجرام! لا عجب انها متوترة الاعصاب، لكن ما الذي جعلها تسير بمفردها في الشارع؟

قالت فيليبا بضعف:«كنت خارجة من محترف الرسم. إني اعمل هناك كل يوم. لم اتوقع ابدا حدوث شيء كهذا.»

مالت ماري لور برأسها الى الامام وقالت:«نعم، انت فنانة.»وقد بدا تعبيرها ساخرا. ثم اضافت:«مازلت تتابعين؟ ألم تملي من ذلك بعد؟»

«ابدا، الرسم مهم جدا بالنسبة لي.»

هزت ماري لور كتفيها بلا مبالاة وقالت :«هذا يعني ان هناك نقصا في حياتك وتحاولين تعويضه

بالرسم؟» ثم تابعت باندهاش: «كيف يمكن ان يحدث ذلك؟ اتمنى ألا يكون الآن العزيز قد أهمل واجباته كزوج.»

خيم صوت مفاجئ، اسرعت السيدة لو غري لرأب الصدع الذي احدثته البارونة وراحت تتحدث عن خطط اللجنة المحلية، ومنها الاحتفال بيوم الباستيل، وأصبحت الاحاديث عامة مرة ثانية.

استرخت فيليبا على مقعدها وقلبها يخفق بسرعة. كان آلان يجلس في الطرف الآخر من الطاولة، ولم تجرؤ على النظر إليه. ماذا كانت تحاول البارونة ان تفعل؟ سألت نفسها بارتباك، كانت تعلق باستمرار على كل شيء، وكأنها تحاول ان تجلب المتاعب وتعزز الأقاويل. مع ان من مصلحتها ايضا ألا يحصل المزيد من الفضائح. إذا ما الذي يجري؟

أجبرت فيليبا نفسها على تناول الطعام والتحدث بلطف الى بعض الضيوف بشكل طبيعي. تمنت لو ان تعليقات ماري لور تؤخذ كنموذج للمرأة الحقودة، وألا يوليها الضيوف اهتماما كبيرا. قالت لنفسها من دون اقتناع راسخ.

قدمت القهوة في قاعة الاستقبال وسمعت موسيقى مصاحبة للحوار والاحاديث. تجنبت فيليبا الاختلاط بالمجموعة القائمة الى جوار مكان ماري لور.

قالت لنفسها: انني اتصرف بسذاجة، باجتنابي لها في هذه الطريقة، انني اضع نفسي في موقف

دفاعي، وهذا من مصلحتها. يجب ان اؤكد لها انني غير مكترثة لوجودها وغير منزعجة من حركاتها. المشكلة انني اتذكر دائما تعليق تلك المرأة: «لن تتفوق على ماري لور.» وأصدقه ايضا.

بدت أمسية طويلة وكانت فيليبا في حالة متوترة، لا تسمح لها ان تستمتع بأحاديث الضيوف، برغم انهم لا يمكن ان يكونوا اكثر لطافة. لكن اصروا عليها ان تخبرهم عن حادث السرقة مع أنها كانت تفضل ان تنساه تماما. شعرت فجأة بضيق في صدرها من كثرة الضجيج والثرثرة وبالاختناق من رائحة السجائر الممزوجة برائحة العطور الغالية الثمن التي ملأت الغرفة.

احتاجت لأن تكون بمفردها في الهواء الطلق لعدة دقائق. اغلقت ابواب المدخل خلال العشاء، لكن كان واحد منها مفتوحا جزئيا. انسلت فيليبا بسرية وخرجت الظلمة.

وقفت ثابتة في مكانها، تأخذ نفساً عميقاً، وتتنشق رائحة الأزهار. لاحظت فجأة انها ليست بمفردها، ورأت حركة في الظلال، وسمعت تمتمة أصوات خفيضة. عبست قليلا وهمت بالدخول.

«آلان.» دوى هذا الاسم في أذنيها بطريقة مثيرة، لا يمكن تجاهلها او نسيانها. استدارت ناحية الصوت واختلست النظر الى حيث كانت هناك عريشة متشابكة مع شجيرات صغيرة. من خلال

نور القمر، رأتهما سوياً متلاصقين. كانت ماري لور تضع ذراعيها حلو عنق آلان، وهما ملتصقان تماما.

«آلان حبيبي.»

لم ترد ان تسمع... او ان ترى المزيد. كانت منذ عدة ساعات في الوضع نفسه، فكرت، والالم يعصر قلبها وراحت تتلمس طريق العودة الى القاعة.

ربما لم يكن وجودها صدفة الليلة. ربما خططا لذلك بتلك الطريقة حتى يختطفا بعض اللحظات المحرّمة عليهما ايضا. تصرفا بذكاء. لم تلاحظ خروجهما من الغرفة، او حتى أي شخص آخر. كانت امسية رائعة وممتعة. وكان الجميع مستغرقين في احاديثهم وسمرهم، وهذا ما اعتمد عليه العاشقان.

في هذا الوقت، وخلافا للمعتقد السائد، كانت الزوجة اول من يعلم ذلك. ليس صحيحا بشكل تام، لقد علمت بذلك من قبل.

لهذا تزوج آلان منها، انها غطاء مموه. برؤيتهما معا توضح كل شيء.

«فيليبا.» قفزت عندما ظهر ويده تمسك بذراعها، بدا وجهه متجهما وهو ينظر إليها: «هل كنت انت... منذ قليل تقفين على الشرفة؟» بعدما هزت رأسها بصمت،

استطرد: «اعتقدت ذلك.» قال بصوت اجش، وهو ينظر حوله: «انا بحاجة الى ان اتحدث إليك.

سأجد السيدة لاغري وأعلمها بانصرافنا.»

حررت نفسها بلطف وبكرامة: «كلا، شكرا. لا اريد ان اذهب إني... استمتع بوقتي.» اضافت بتحد: «لا انوي ان احطم كوبا آخر، او حتى ان اتصرف بحماقة بأي طريقة، ارجوك لا تقلق عليّ.»

قال بفظاظة: «هل تعتقدين ان هذا يهمني؟ يجب ان اتحدث إليك سرا... لأفسر.»

«لقد فسرت عندما التقينا.» وحدقت في فنجان القهوة، وكأنه العمل الأروع والأكثر خيالا في عالم الانسان وقالت: «لا أمانع، آلان. انك تدفع لي بسخاء حتى اؤمن لك الحماية ولأتغاضى عن... نزواتك. هذا ما سافعله دائما.» وابتلعت غصة من حنجرتها: «لكنني لن اسمح لنفسي ان اكون إحدى نزواتك بعد اليوم. وسوف أزود في المستقبل باب غرفتي بقفل ومفتاح.»

تسرب الصمت الذي خيم بينهما الى عقلها، وأخذ يطرق في اذنيها.

قال بهدوء وبلطف: «حسناً، سأحقق رغبتك.»

قالت وهي تتابع النظر الى فنجانها: «هناك شيء آخر. لا أعتقد ان احدهم افتقدك هنا، لكن ليس من الحكمة ان تستغل مناسبات كهذه، خاصة بعد ان لفتت السيدة سومرفيل الانظار إلينا في السهرة.»

قال بصوت قاس: «اني ممتن لك لهذه النصيحة، لكن

في هذه الحالة، لن تحتاج انا والسيدة سومرفيل بعد الآن الى رعايتك.»

قالت:«فهمت.» وابتعدت. لكن هذا ليس صحيحاً. الملاحظة لم تستوعبها... لم تتقبلها... ضربتها كصاعقة. جمدتها تماما مع فنجان القهوة الذي في يدها.

في الحقيقة، ارادت ان تبكي، ان تصرخ، ان تضرب الأرض بقدميها، ان ترمي ما تبقى من فنجانها على قميص الان النظيف وأن تخدش وجهه بأظافرها حتى يسيل منه الدم.

شعرت ان قوة وبشاعة الموقف تكادان ان تسيطرا عليها، كما فعلت تلميحات الان اللاذعة.

الغيرة، فكرت. هذا ما اشعر به، لكن لا يمكن ذلك. هذا يعني انني اريد الان لنفسي. ربما انا واقعة في حبه. هذا مستحيل. لا يمكن ان يكون ذلك صحيحا. لو كان ذلك صحيحا، ماذا باستطاعتي ان افعل؟ كيف سأتحمل ذلك؟ رفعت كتفيها. فكرت بقوة، لن اسمح بذلك.

بادرها شخص كان يقف الى جانبها ويرمقها بنظرة مبهمة:«عفوا سيدتي.» كانت تتكلم بمفردها بصوت عال ومن دون ادراك.

ضحكت فيليبا، واعتذرت كإنسان آلي. وسمحت لنفسها بالانضمام الى احدى المجموعات والانخراط في الحديث معهم.

كانت فيليبا تشعر كل الوقت بوخز في رأسها وكأن بخارا ساخنا يتصاعد فيه.

* * *

سألها زاك بغضب:«ما بك اليوم؟» وأشار الى لوح الرسم الخاص بها.

«كان من المفترض ان تكون لوحتك أقل تعقيدا. طلبت منك ان ترسمي السيدة التي على المنصة...

منذ متى قررت ان تتجهي الى التعكيبية؟»

تورد وجنتا فيليبا وأجابت:«ابدا. ذلك فقط... حسنا، لكنني كما تعرف، اجد صعوبة في رسم الناس.»

«قولي ذلك ثانية!» حدق زاك في لوحتها ثم تأوه:«وفقاً لهذه، تبدو جيني وكأن لديها حوالى عشر عاهات أساسية، ربما ستقيم علينا دعوى.» استدار نحو المثال التي بدت منزعجة، وقال:«انت لا تريدين ان تنظري إليها. ستعكر مزاجك.»

رمق زاك فيليبا بنظرة تساؤلية:«إذاً ما المشكلة؟ حادث السرقة؟ يقولون ان البرق لا يصيب المكان نفسه مرتين.»

ابتسمت له فيليبا:«اتمنى ذلك. هناك اشياء كثيرة تشغل بالي.»

«كيفين، بالتأكيد. ياعزيزتي، ماذا عساي ان اقول؟

عليك ان تتقي بالاطباء. لن تحسني حالته في نيويورك بالقلق عليه في باريس.»
«اعرف ذلك.» كانت فيليبا تشعر بالذنب لأنها لم تفكر في والدها خلال الاربع وعشرين ساعة: «اني آسفة يا زاك. لقد ضيعت وقتك. أليس كذلك؟»
اخذ زاك لوح الرسم ثم وضعه في مكان آخر. «اذهبي الى منزلك، يا فيليبا وحاولي ان ترتاحي. اقنعي زوجك الوسيم بأخذك الى العشاء خارجا.»
نظر اليها بعبث: «لا اتصرف هكذا، إلا مع المبتدئين.»
توردت وجنتاها: «ربما كان... مشغولا.» قال متجهما: «اذا قولي له بأن يرتاح ايضا. اريدك هنا غدا جاهزة للقيام بعمل حقيقي.»
القول اسهل من الفعل، فكرت فيليبا بحزن وهي تنزل السلالم. لم يحاول آلان التحدث إليها في الليلة السابقة وهما في طريق العودة الى البيت. تمنى لها ليلة هانئة ثم دخل غرفته وتركها تردد لنفسها مرارا وتكرارا... إن هذا ما اردته بالتحديد.
بقيت تقول ذلك على فترات ليلة طويلة ومملة. وفي وقت ما قبل الفجر استسلمت للهزيمة. نهضت عن السرير وذهبت عارية القدمين الى غرفة الان. كانت خاوية وغير مستعملة. حدقت فيها لمدة طويلة ثم عادت بصمت الى غرفتها، وبكت.
وصل صانع الاقفال قبل ان تنهي فطورها. بدت

مدبرة المنزل جيسكار غاضبة وهي تراقبه يعمل. لم تكن فيليبا متأكدة ما إذا كان عليها ان تلومها أم لا.
اخيرتها مدبرة المنزل بهدوء ان مارسيل سيكون جاهزا خلال لحظات حتى يوصلها الى مكان عملها. هذه أوامر السيد آلان.
خرجت الى الشارع وبحثت عن السيارة، لكنها لم تكن في انتظارها. يا للعجب، فكرت وهي تنظر الى ساعتها. انها في وقت أقل بساعة من المعتاد.
«سيدة دي كورسي»
استدارت وجلة في الوقت المناسب ورأت فابريس دي ثيري يتقدم نحوها. تابع: «اتمنى ألا تكوني ظننت أنني لص آخر.» شعرت بدف، ابتسامته حين اضاف: «أردت ان أراك لأرجع لك هذه.» ناولها حلقة مفاتيح من جيبه: «لا بد وأنني اخذتها خطأ البارحة.»
«شكرا لك. لم اجرؤ بعد على الاعتراف بفقدانها.»
«هل زوجك مخيف لهذه الدرجة؟» بدا صوته مرحا، لكن نظرته كانت جدية.
قالت فيليبا بسرعة: «كلا... على خلاف ذلك تماما.»
«انت مبكرة، وأنا سعيد لأني وجدتك.»
تنهدت وقالت: «ليس تماما. علي ان انتظر السائق في المستقبل.» «هذا تصرف منطقي.»

«نعم، لكنني لا اريد ذلك.»
نظر الى ساعته: «هل لديك وقت، ربما لتناول فنجان قهوة آخر؟»
ترددت فيليبا. هذا التصرف المنطقي سيرفض بلباقة، ولقد عرفت ذلك.
قال فابريس دي تييري بأسف: «سترفضين، أليس كذلك؟ انا لا ألومك. زوجك رجل مرعب. لا يتمنى لك ان تصادقي رجلا عاديا مثلي.»
حدقت فيليبا اليه: «هل تعتقد حقا ذلك؟»
«بالطبع.» وبدا محرجا «بعد ان تركتك، قمت ببعض التحريات. لولا المفاتيح لما كنت فكرت بالاقتراب منك.»
رفعت فيليبا ذقنها وقالت: «سيد دي تييري، سأكون مسرورة لتناول القهوة معك.»
عرفت ما يكفي، خلال نصف ساعة، من المعلومات عنه، فاكتشفت ان والديه يعيشان في روين حيث مقر عمل والده وأنه ا بن وحيد. كان يعمل في باريس، يتابع تدريبه في المحاسبة مع شركة عالمية. ويمارس في الشتاء لعبة الركبي، وهو يستمتع بالأفلام اليابانية. تدفقت منه هذه المعلومات بشكل عفوي.
من الممتع، لاحظت فيليبا، ان تجلس المرأة في وضح النهار مع شخص، يجدها بوضوح، جذابة وإذا تمتم صوت في داخلها محذرا بأن هذا الوضع

محفوف بالمخاطر، ستتجاهله بالتأكيد. وإذا عرض الآن رفقتها الجديدة ما النفع عندئذ؟ سألت نفسها بتحد. ليس من حقه ان ينتقدها بعد ان رأته على الشرفة الليلة السابقة. كانت بكل بساطة تتناول فنجان قهوة في مقهى على الرصيف. إذا ما الداعي لتذمره؟ لم تكن بصدد المباشرة في علاقة حب.
لم يسكن بريق الاعجاب في عيني فابريس، والطريقة التي كان يميل بها نحوها، حتى كاد ان يلمس يدها... كانت هذه الأمور بلسما لجروحها النفسية التي سببها الآن. شعرت بالإهانة وهي تتذكر كيف سمحت له بعناقها... بلمسها. مع ان قلبه وعقله وروحه كانت ملكا لامرأة اخرى.
تنهدت سرا وهي تفكر في ماري لور. نعم، إنها جميلة، ويحلم بها أي رجل. لكن فيليبا وجدت نفسها تتمنى لو أنه احبها كثيرا، او فكرت بأنها تستحق افتتان الآن بها. هل كان مسلوب العقل لدرجة انه تعافى عن حقدها، او انه لم يعد يهتم؟
قال فابريس فجأة: «اشعر وكأنني اكلم نفسي.»
«إنني أسفة... هذه كانت فظاظة مني.» رشفت باقي قهوتها أضافت: «هناك عدة أمور تشغل بالي.»
هز رأسه بشجاعة: «إني أفهم. وربما أنا اعرف اكثر مما تظنين.»
ضحكت وهي تمسك حقيبتها: «بعد فنجانين من القهوة؟ اشك في ذلك.» «اعرف، على سبيل المثال،

انك غير سعيدة، وان زوجك يعيش حياة خاصة به وحده.»

ردت فيليبا: «لست مستعدة لمناقشة زواجي معك، او مع شخص آخر، يا سيد.»

«الآن اغضبتك! إني اعتذر، لست بوضع يسمح لي بمحاكمتك.» لمست يده اصابعها. «ارجوك قولي إنك سامحتني، وإنك ستتناولين القهوة معي مرة ثانية.»

عرفت فيليبا ان هذه هي اللحظة الملائمة للتراجع، للابتسام بتهذيب، وللانسحاب من دون ارتباطات. إنها امرأة متزوجة ولا يحق لها إن تتواعد مع شخص آخر، مهما كان اللقاء بريئا. لو كنت فعلا زوجة الآن، لما كنت فكرت بذلك ابدا. ولكن بما أن ...

«بماذا تفكرين؟ في ان زوجك سيغضب لو عرف أنك جلست في وضح النهار وتحدثت... و ابتسمت قليلا؟»

قالت ينفور: «ولماذا سيمانع؟ إن لي حياتي الخاصة ايضا.»

«إذا هل سأراك مرة ثانية؟ علي ان اسأل، انت تفهمين لأن ليس لدي أي شيء آخر يخصك استطيع ان استعمله كعذر.»

نظرت فيليبا إليه باندهاش، وسألت ببطء: «هل هذا يعني انك تعمدت الاحتفاظ بمفاتيحي؟ هذا عمل طائش، يا سيد.»

هز رأسه ثم ابتسم بأسف: «هل تسامحينني؟ اعرف ان ذلك خطأ، لكنني لم اتحمل فكرة عدم رؤيتك ثانية. سنلتقي هنا غدا وفي الوقت نفسه.»

«ربما... لا اعرف.»

اطبق يديه على يديها وقال: «سأنتظر حتى تأتي. الى اللقاء يا فيليبا.»

«الى اللقاء.» كانت ابتسامتها وهي تسحب يدها من يده خجولة ومترددة.

كان لطيفا، قالت لنفسها على نحو دفاعي وهي تسير الى محترف زاك حيث كانت تنتظرها السيارة. لقد اعجبت به، من الممتع ان يكون لديها صديق... شخص يعوض عليها وحدتها.

ربما بمساعدة فابريس، الى جانب دراستها طبعا، لن تتألم كثيرا من زواجها الزائف بعد الآن. ربما ستتعلم في الوقت المناسب ان تتحمل وجود ماري لور في حياتها.

تساءلت فجأة إذا كان الآن سيتحمل فابريس. ليس له الحق، بالطبع، إذا أخذ تصرفه بعين الاعتبار، ولكنها تعلم انه قادر على العيش بازدواجية. لكنني لا أحاول ان اقيم علاقة غرامية مع أحد، فكرت فيليبا بحزم.

لا أريد ان اتورط... لا مع فابريس ولا مع آلان. جف حلقها من كثرة ما آلمتها الفكرة. لا اريد ان أهان ثانية، قالت بصمت، او ان امضي المزيد من

الليالي المؤرقة في البكاء. اريد فقط ان اجلس في وضح النهار وأتحدث.. وابتسم قليلا. ليس هناك من ضير في ذلك، حقا؟

تراءى لها فجأة الان القاسي وعيناه الخضراوان تشعان بغضب شرس كما في الليلة السابقة. ارتجفت وهي تتذكر ردة فعله الشرسة عندما استفزته قبلا، في ليلة زواجهما.

الفصل السابع

قالت فيليبا: «لا استطيع هذا مستحيل، وأنت تعرف ذلك.» اخذ فابريس يدها وضغط عليها بشدة: «لماذا ترفضين؟ انه مجرد حفل موسيقي، لا اكثر. لقد قلت انك تستمتعين بموسيقى رافيل ودوبوسي كثيرا. لماذا لا تكوني ضيفتي؟»

تنهدت فيليبا وقالت بلطف: «أنا امرأة متزوجة.»

«هل حضورك حقا سيفسخ عقد زواجك؟ اؤكد لك ان زوجك ليس عنده مثل هذه الافكار.»

تجمدت فيليبا على نحو دفاعي: «إني لا أفهم.»

هز فابريس رأسه وتمتم: «هذا الاخلاص... لا يستحقه، يا فيليبا. يجب ان تعرفي ذلك. الرجل معروف بنزواته التي لا حدود لها. علاقاته صاخبة جدا.»

قالت فيليبا بحدة عندما سرى الالم في جسدها: «يجب ألا نتحدث عن الان بهذه الطريقة. إذا كنت ستتابع... لن اقدر على رؤيتك ثانية.»

أحكم فابريس قبضته على يدها وقال: «لا تقول ذلك. لقد أصبحت هذه اللحظات القليلة معك، كل حياتي. لا يمكنك ان تحرميني منها.»

توهج وجه فيليبا، وحررت يدها من قبضته وقالت: «لا يجب ايضا ان تتفوه بأشياء كهذه. لقد وعدت بأن تكون صديقي يا فابريس.»

قال بحزم: «إذاً دعيني أرافقك الى هذا الحفل كصديق.»

«انت عنيد جداً.»

بدأت تجد اهتمامه المتزايد محرجاً، ومع ذلك، اضطرت لأن تثق بأن مرافقتها له كانت بمثابة حبل إنقاذ نفسي خلال الأسابيع الفائتة، نظراً للصراع المستمر بين آلان وبينها. لقد وضعت القفل الذي أصرت على حصوله في مكانه. لكنه ظهر أنه غير ضروري البتة. لم يحاول آلان التقرب منها منذ خلافهما الأخير.

في الواقع، كان يتغيب عن باريس كثيراً بحجة العمل، وكانت تمضي معظم الليالي تحدق في الظلام وتتساءل...

عندما يكون في البيت، كانا يلتقيان على الطعام فقط، او عندما تكون هناك مناسبة اجتماعية، يصر على اصطحابها إليها ليلعب هو دور الزوج المحب والمخلص.

من الواضح، فكرت بتعاسة، بإمكان المرء ان يخدع بعض الناس معظم الوقت. كانت طريقتها في التجاوب معه مذهلة عززها خجلها الطبيعي كونها فتاة متزوجة حديثاً.

في الشقة، كان شعور فيليبا بالقلق يتزايد باستمرار. كان تصرفه معها دائما لطيفا، لكن متحفظا. لم تشعر سوى بالنفور عندما كان يقف

في إحدى الحفلات الى جانبها، او يلمسها في المناسبات النادرة. كانت تعرف جيدا انهما بعيدان جدا في الواقع، مهما بديا متقاربين أمام الناس.

ولذلك لجأت الى فابريس، والى العلاقة البريئة التي عرضها في البداية.

لكنها كانت بالطبع ساذجة، عندما فكرت بأن هذا النوع من ا لعلاقات يمكن ان يستمر بشكل غير محدد. لم يكن فابريس من النوع المرهق فقط بل رجل عادي جذاب. والآن بدت علاقتهما تقترب من مرحلة لا يمكن التراجع عنها، وهي لم تكن متأكدة بعد من شعورها.

السؤال الذي يجب ان تطرحه على نفسها هو: هل تريد حقاً ان تقيم علاقة مع فابريس أم مع أي شخص آخر... مهما كان تصرف آلان حيال الموضوع؟ الجواب الغريزي الذي فرض نفسه بشكل ثابت كان صوتا سلبيا. ليس من العدل ان تبقي فابريس على أمل، ولا سيما أنها تعرف جيدا انها لا تتمادى معه، فلا مستقبل لعلاقتهما، وعليها ان تشرح له ذلك.

مع انها كانت مدركة أنانيتها، فهي غير مستعدة الآن لأن تتخلى عن فابريس. فهو كان يمثل لها العلاقة الانسانية ذات الدفء في حياتها القاحلة. كان زاك وسيلفيا رائعين معها. لكن رؤيتهما معا، ومراقبة بنية زواجهما القوية ومقارنتها

بحياتها الزوجية الخاوية، كانت شيئا لا يحتمل. كانت تعرف ان عملها أصبح تافها وسطحيا. وكان زاك ينتقدها وينبهها دائما لشدة قلقه عليها.

قال لها مرارا: «انت بحاجة الى بعض التركيز. ربما عليك ان تبتعدي عن اجواء باريس لبعض الوقت، وتطلقي العنان لفنك. ربما ستجدين ذاتك.»

ابتسمت وقالت ان الفكرة رائعة لكنها مستحيلة الآن. ربما يوما ما في المستقبل... كان تعهدها لآلان دي كورسي، وليس لرحلة البحث عن الذات التي يمكن ان تنجح او تفشل.

لكنها كانت تعرف شيئا عن نفسها، وهو إذا عاد الزمن الى الوراء ووجدت نفسها مرة اخرى في مكتبة لاودن، ستهرب بعيدا عن آلان، ولن تخضع نفسها لزواج زائف.

ان حقيقة عدم كذبه بالنسبة لنمط حياته، وموافقتها على كل الترتيبات، لم تغيرا من الأمر شيئا، ولم تقدما أي تعزية لها.

كان همها الوحيد في ذلك الوقت كيفين، وحياة الرفاهية التي قدمها آلان. لم تأخذ بعين الاعتبار مشاعرها واحتياجاتها، خصوصا انها ستعيش مع شخص جذاب كآلان. كان عليها ان تتفهم مدلولات الوضع وأن تراعي قلة خبرتها وضعفها قبل ان توافق على شروطه.

مع ذلك، كانت يائسة كما قال حينها. لكن لو

كان بمقدورها ان تتنبأ بالذي كان ينتظرها لكانت رفضت الصفقة ونصحته بأن يجد شخصا آخر.

لقد فات الأوان الآن، وعزاؤها الوحيد هو معرفتها بتحسن صحة والدها. لقد استطاع الاختصاصيون تحديد الفيروس الذي تمكن منه، ولم تحصل أي مضاعفات. لقد استعاد والدها الحركة في يده وجنبه الأيمن. لقد حاصروا المرض، وهذا الأمر كان كافيا لشعورها بالامتنان. لم يجعل ذلك من زواجها بآلان عملا صائبا، لكنه ساعدها على تبرير الخطوات المتهورة التي اتخذتها وقالت في سرها، إذا كان كيفين على طريق الشفاء، فإن ذلك مبرر كاف لمعاناتها في الوقت الحاضر.

«إني آسفة. كنت أفكر في والدي.»

كان وجهه كئيبا: «والدك؟» لاحظت انها حطمت غروره قليلا، وأسرعت لاصلاح الوضع: «سأفكر في دعوتك، إني اعدك.»

«هذا رائع! سأنتظر قرارك غدا أليس كذلك؟»

اجبرت نفسها على الابتسام: «لا تستعجلني.»

«لن افعل ذلك ابدا. لا اتحمل رؤيتك حزينة وأنت تحاولين التظاهر بالنقيض. ألا تستحقين بعض السعادة... وأن تكوني شخصا محبوبا وجزءا مهما في حياة رجل؟»

ازعجتها العاطفة التي كانت في صوته. لم يتكلم معها بهذه الصراحة من قبل، فكرت. ثم اختلست

نظرة الى ساعتها وقالت:«يجب ان أذهب. مارسيل ينتظرني، وإني أجد صعوبة في ايجاد الاعذار لعدم انتظاري له خارج المحترف.»

«وأنت خائفة من ان يخبر زوجك؟» نهض فابريس عن كرسيه بتحد عندما ارجعت كرسيها الى الوراء، وأضاف:«ولماذا يهتم؟ فهو لا يلتقي ببارونته الحسناء لمجرد ان يتناول القهوة معها، إني اؤكد لك ذلك.»

احنت رأسها، وافقته بتكلف:«اعتقد ذلك. ومع ذلك، يجب ان أذهب. الى اللقاء، يا فابريس.»

وضعت حقيبتها على كتفها ثم سارت الى المحترف. انذهلت عندما اكتشفت ان هوية صديقة الان معروفة ايضا خارج وسطهم الاجتماعي. هذا ما كنا نحاول ان نتجنبه. بماذا يفكر الان؟ هل هو مهووس بها لدرجة أنه لم يعد يفكر بشكل منطقي؟ هل قرر ان صديقته تستحق الخسارة المحتملة لشركته؟ بعد ان زود عمه بسلاح ليستعمله ضده.

نظرت الى ساعتها ثانية وأبطأت خطواتها. كانت لأول مرة مبكرة على مارسيل. لكن هناك بعض المحلات التجارية التي طالما أرادت رؤيتها، باستطاعتها ان تضيع بعض الوقت هناك.

كانت تنظر الى القماش الذي احتل واجهة احدى صالات العرض، عندما سمعت صوتا وراءها:«إذا هذه انت. اعتقدت ذلك.»

استدارت فيليبا لتواجه نظرة سيدوني دي كورسي الباردة. قالت بتهذيب:«مرحبا.» «وهي تخفي فزعها. «لم أكن اعرف انك مهتمة بالرسم التجريدي.»

قالت سيدوني:«ابدا، لكن هناك محل قريب من هنا اشتري منه عادة ثيابي. هل هذا ما تفعلينه... تتسوقين؟»

بدا صوتها عبثياً وتساءلت فيليبا إذا كانت قد رأتها مع فابريس.

«كلا، كنت في محترف الرسم. انتهت الحصة اليوم باكرا.»

قالت سيدوني بسخرية:«أوه، نعم. دروس الرسم. إذا كانت تبهجك ما الضير في ذلك؟ انت بحاجة الى شيء تعتمدين عليه بعد ان يطلقك آلان.»

احكمت فيليبا اصابعها على حقيبتها، لكنها أبقت ملامحها هادئة وسألت باستخفاف:«هل ينوي آلان ان يطلقني؟ لم يذكر لي ذلك.»

تظاهرت سيدوني بالانزعاج:«ألم تعرفي بعد ان البارون سومرفيل أصيب بذبحة قلبية وهو مريض جدا؟ في الواقع لن يعيش اكثر من اسبوع. ربما اخفى آلان عنك هذه الاخبار لأنه اشفق عليك. ليس من الملائم لك ان تعيشي معه وأنت على معرفة بدورك كبديل موقت. بالطبع، بعد ان يموت البارون وينتهي دورك سيختلف الوضع. الجميع يسألون كم ستأخذ ماري لور من الوقت وهي تمثل دور الأرملة

الحزينة. ضحكت سيدوني ثم تابعت: «مسكين الان، لا بد أنه غاضب! لقد خاض كل هذه المشقة حتى يتزوجك، وعليه الآن ان يواجه الطلاق. لو أنه انتظر بضعة اسابيع اخرى، لكانت ماري لور حرة في أي حال. الكل يجد الوضع ممتعا، انت تفهمينني.»

جاهدت فيليبا حتى تخفي غثيانها الذي كاد ان يغمرها وقالت: «إني اصدقك تماما. ستحل مشكلاتهما عندما أصاب انا ايضا بذبحة قلبية... وأختفي فجأة من حياتهما.»

ضحكت سيدوني: «لا اعتقد ان الأمر وصل الى هذا الحد. انا متأكدة من أنك ستجدينه كريما إذا وافقت على الطلاق من دون ان تفتعلي أي متاعب.»

كان قلب فيليبا يخفق ببطء وبالم بين أضلاعها. اجبرت نفسها على الابتسام: «في تلك الحالة، لا داعي لأن اقلق. اتمنى ان يكون تسوقك ناجحا.»

تفحصت فيليبا فستانها الاصفر الباهت، ثم اضافت: انصحك بتغيير المحل الذي تختارين منه ثيابك.» وابتعدت عنها وهي مدركة نظرة سيدوني الحانقة.

توقفت فيليبا في آخر الشارع، ثم اسندت نفسها الى الحائط للحظة. كانت ترتجف وقدماها لا تقويان على حملها. تملكها الغضب واليأس وشعرت انها على وشك ان يغمى عليها.

هل كانت هذه نية آلان فعلا؟ هل يريد طردها حتى

يتزوج ماري لور؟ هل سيرشيها بالمال؟ ضغطت اظافرها على راحتي يديها بقوة.

لقد بدا شارد الذهن فعلا في الفترة الاخيرة، لكن نظرا لوضعهما الحالي لم تجرؤ على ان تسأله عما كان يزعجه. اغمضت عينيها.

يبدو ان الجميع متأكد ان البارون لن ينجُ من ذبحته القلبية. هذا ما اكدته سيدوني. صحيح انه كان أكبر سنا من زوجته، لكن هذا لا يعني انه يستحق الموت.

من المؤلم ان يُقضى على الانسان بهذه السهولة. لكن، على الاقل لا يعرف. لم يوقفه احد في الشارع ويخبره أنه لم يعد مرغوبا في وجوده، وأن باريس كلها تتساءل عن هوية وريثه.

«سيدتي.» كان مارسيل يتقدم نحوها، والقلق ظاهر على وجهه. بدا قلقا: «هل انت مريضة؟»

لاجدوى من التظاهر بأن كل شيء على ما يرام. بينما هي تستند الى الحائط، ترتجف كورقة في مهب الريح وبوجه شاحب.

قالت: «شعرت بدوار، هذا كل ما في الأمر.»

ساعدها مارسيل على الدخول الى السيارة وأبقى نظره من خلال المرآة عليها فيما ينطلق بها الى البيت بحذر شديد.

ربما لا يريدني ان اتقيأ على الفرش الفخم. فكرت فيليبا والدموع تنهمر من عينيها.

لا بد أنه استعمل هاتف السيارة بينما كانت تصعد الى الشقة لأن مدبرة المنزل جيسكار كانت في انتظارها في قلق واضح.

قبل ان تعي ما كان يحصل، وجدت نفسها مستلقية على السرير، وحذاؤها مرميا على الأرض، الستائر مسدلة وقطعة قماش معطرة موضوعة على جبينها، وإلى جانبها قدح يتصاعد منه البخار ينتظرها على الطاولة. لم يكن لديها أي فكرة عما في داخله، لكنها شعرت بالانتعاش والاسترخاء بعد ان شربته. لم تستطع النوم لأن الاحلام لاحقتها حتى هناك وجدت نفسها تركض داخل معبد كبير، حيث كان يقف آلان، ولاحظت ان يديه ممدودتان... لكن ليس لها.

نادته باسمه، بألم، وسمعت إجابته. فتحت عينيها فوجدته منحنيا فوقها.

«ما بك؟ لقد اخبرتني جيسكار ان مارسيل وجدك مريضة في الشارع.»

حاولت فيليبا ان تجلس قائلة: «ليس تماماً. شعرت بدوار للحظة. لا شيء مهما.»

«حقا؟» جلس على حافة السرير وهو مقطب الجبين. بقي صامتا للحظة ثم قال: «فيليبا، هل يعقل ان تكوني حاملا؟»

توردت وجنتاها وقالت بسرعة: «كلا، بالطبع.» واعتقدت للحظة انه كان مهتما بها، لكن سرعان

ما تبدل تعبير وجهه وخاب أملها. بالطبع، فكرت والغضب يتملكها من جديد، زوجة حامل، سيكون من الصعب نبذها، وإذا كان لا بد من وجود طفل، فهو يريده من المرأة التي يحبها، برغم انها لا تبدو مستعدة لتشويه مظهرها لمدة تسعة أشهر.

«من حسن الحظ ان هذا بعيد الاحتمال.»

«كلا؟» كان ما يزال متجهما وهو ينظر إليها بفم ساخر. «انت ادرى بذلك بالطبع.» حدق الى الارض للحظة ثم قال ببط: «سأتركك حتى ترتاحي قليلا، يا زوجتي، لكن علينا ان نتحدث بجدية قريبا، انت وأنا.»

وثب قلبها من مكانه: «... ليس من الضروري...» قاطعها آلان: «انت على خطأ.» بدت ابتسامته حزينة ثم تابع: «اؤكد لك يا حبيبتي، ان هذا ضروري جدا.» رفع يدها وقبلها برفق وغادر الغرفة.

بعد ان تركها بمفردها ثانية، لم تستطع فيليبا منع دموعها من السقوط.

كانت تعرف بما سيناقشها، وأرادت ان تخبره انها لا تمانع، وأنها ستوافق على الطلاق بشرط ان يبقى علاج كيفين مستمرا. فكرت أريد حريتي وبأسرع وقت.

لكن هذا لا يحتمل. اعترفت بذلك. وهي تحدق في ظلمة المساء. فهي لن تتحمل فكرة هجره لها. وعرفت ذلك، في قلبها، أنها لن تكون حرة ابدا.

ايقظتها مدبرة المنزل في الصباح التالي ومعها صينية الفطور.
قالت على نحو مريك:«هذا لطف منك.» وهي تحاول الجلوس.
«هذا واجبي سيدتي.»تفحصتها بدقة وسألتها:«كيف حالك هذا الصباح؟»
«حسنة، لا بد أنني أصبت بالصداع.»
بدت مدبرة المنزل وكأنها اصيبت بخيبة أمل وهي تخرج من الغرفة.
فكرت فيليبا وهي ترشف عصير الإجاص، يا للهول الجميع يعتقد أنني حامل. بخلاف الآن، كانت السيدة جيسكار تتمنى ذلك. ربما هي تخفي هذا الوجه اللطيف من طبيعتها وراء سلبيتها المصطنعة والمدربة عليها جيدا.
عندما امسكت الكعكة المحلاة، لاحظت وجود مغلف وفي داخله ورقة بخط الآن.
لقد وصلت هذا الصباح. اعتقد انها ستفرحك. لن أعود الى البيت إلا في وقت متأخر في المساء، ربما ستكونين جاهزة لمناقشتها معي غدا. كانت موقعة بأحرف إسمه الأولى.
كأنها مذكرة قضائية، فكرت بمرارة، لكنها كانت في الواقع اول اتصال خطي تتسلمه منه وهذا جعل المذكرة بطريقة خاصة.
عندما اخرجت الأوراق المطبوعة من المغلف

اكتشفت باندهاش انها تقرير مفصل عن كيفين من العيادة.
لم تعن لها شيئاً المصطلحات الطبية التي استعملت كثيرا لكن كانت الخلاصة في النهاية اكثر وضوحا، ومن الممكن فهمها.
مع ان العلاج كان تجريبياً، لكنه كان ناجحاً من دون أي مضاعفات. واستبدلت الإدوية بالتمارين الرياضية التي تجاوب معها تماما. يقول الطبيب انه ليس من الضروري إبقاؤه لعدة اسابيع اخرى في العيادة، مع ان المريض سيستمر في تلقي العلاج ربما لبقية حياته، ومن الأفضل ان يخضع بعد عودته الى البيت لعلاج طبيعي.
استوعبت هذه الكلمات:«عودته الى البيت.» بسيل من الدموع. كيفين بخير. فكرت غير مصدقة، بإمكانه ان يرسم ثانية.
وضعت صينية الفطور جانباً ونهضت عن السرير بسرعة البرق.
زاك، فكرت. سأتصل به حالاً. سيفرح كثيراً.
ارتدت ردائها ثم توجهت الى غرفة الاستقبال. كانت جريدة الصباح ملقية الى جانب الهاتف، امسكتها بنفاد صبر، وحدقت الى صورة البارون سومرفيل.
عرفت معنى ذلك بسرعة. جلست على احد الكراسي تقرأ النعي المرفق بترجمة موجزة عن حياة

الفقيد، عمله في الحكومة، وإنجازاته العسكرية في البلدان التي عمل فيها. وقد ذكروا زوجته ايضا، وأن لا أولاد له. وصرحوا بأن ممتلكاته وثروته المستقبلية ستنتقل الى ابن عم مجهول.
وضعت فيليبا الجريدة برفق على الطاولة ثم حملقت في الحائط . هناك اشياء أهم لم تذكر. مثل خطط الأرملة الحزينة للزواج ثانية. هل ذهب آلان الى هناك... ليكون مع ماري لور؟ ولذلك اخبرها بأنه سيتأخر؟ إذا كان تفكيرها صائبا، فهذا غير لائق ابدا.
ماري لور حرة، وكيفين شفي، فكرت. هذا يلغي كل التزامات الطرفين. وهذا ما سيخبرني به غدا.
وقفت ببطء. شعرت فجأة بالبرد يلفحها، وأحكمت حزام ردائها وهي ترتجف. ربما لم تكن مستعدة لأن تقف موقف المتفرج بخنوع، وتنتظره حتى يملي عليها أوامره الصارمة. وربما لا تريد ان ترى ماري لور وهي تأخذ مكانها. وتعرف ان الجميع يتحدث عنها، ويشفق عليها. كلا، هذا شيء لا يمكن توقعه الآن.
يجب ان تفعل شيئاً، فكرت. وإلا لن استطيع تحمل ذلك. تجولت في قاعة الاستقبال وحدقت الى لوحة والدها المسلطة عليها أشعة الشمس. كانت في كل مرة تدخل فيها الى الغرفة تجد نفسها مشدودة إليها وتبتسم للذكريات التي كانت تثيرها.

ستفتقده، عندما أذهب... فكرت فيليبا، توقفت لبرهة عن التفكير ثم تنهدت حين حلت الإثارة محل الشعور بالبرد.
كانت بحاجة الى مكان ما تذهب إليه. وقد اخبرها زاك انها بحاجة الى بعض العزلة لترسم.
هذا ما يجب ان تفعله. ستأخذ ما يكفيها من الثياب، وبعض المال الذي خصصه لها آلان لإعالتها، وستذهب الى مونتاسكو. ستستأجر مكانا ما... ربما البيت القديم بالطبع إذا مازال موجودا... وترسم فقط، ربما سينفذ منها المال، وسترى عندئذ اذا كان بمقدورها ان تنجح، تماما كما فعل والدها من قبل. بعد ان يُسمح لكيفين بترك العيادة، سيكون لديها بيت على الأقل يجمعهما معا، حيث سيكون في مقدورهما ان يعملا بحرية والبدء بحياة جديدة.
سنتشارك المحترف، كما خططنا دائماً.
ربما لم يكن كيفين بحاجة ليعرف عن آلان. وهي تفضل ان تبقي هذا الجرح سرا. تمنت، وليس للمرة الأولى، لو كان باستطاعتها ان تقود سيارة. كان الأمر سيسهل عليها لو انها وضعت حقيبتها وأدوات الرسم في السيارة، بدل ان تحملها طوال رحلة القطار الصعبة والمعقدة.
ستكون راضية أكثر عندما تعرف انها هي التي تخلت عن هذا الزواج. لن تعطيه الفرصة حتى

يطردها بنفسه، لأنها هي التي ستتركه اولاً. وسيكون مرتاحا من دون شك. لأنها اخذت الأمور على عاتقها، ولن يشعر بأن كبرياءه قد جرحت.
إنني مسرورة. اتمنى ان يضحك الجميع عليه.
ألقت نظرة اخيرة على الصورة، ثم استدارت بعيدا.
عليها ان ترتدي ملابسها، وأن ترسم بعض الخطط.
رفع زاك حاجبيه عندما اخبرته بقرارها.
«إنها فكرة صائبة، يا عزيزتي، ولكنني لست واثقاً من دوافعك. الذهاب في رحلة شيء والهروب شيء آخر.»
هزت فيليبا كتفيها من دون مبالاة وقالت:«ظروف يائسة تتطلب خطوات متهورة. هذه اصبحت حكمتي في الحياة.»
رمقها بنظرة شك:«حقاً؟ ولا تنسي ان رسمك ايضاً ميؤوس منه، ويحاجة الى جهد كبير منك. حاولي ان تجدي المكان المناسب.» احتضنها بمحبة:«وعودي قوية إلي.»
كان فابريس ينتظرها في المقهى، وقف عندما اقتربت من الطاولة، وبدا وجهه جديا. قال:«فيليبا هل رأيت جريدة الصباح؟»
«نعم، رأيتها.» جلست وأشار الى الخادم ليحضر القهوة.

«فابريس،هناك شيء يجب ان اخبرك به. إني راحلة، وقريبا جدا. أنوي ان استأجر بيتا وأتفرغ للرسم كليا.»
بدا مصدوما:«تعنين أنك... ستهجرين زوجك؟»
«سأرحل بداعي الرسم فقط. احتاج الى بعض العزلة.»
«لا.» احنى فابريس رأسه نحوها وبدا متوترا:«يجب ألا تبقي وحيدة. فأنت مازلت شابة ولا تستحقين ذلك. فيليبا، حياتي... ليس كل الرجال قساة مثل آلان دي كورسي. دعيني ابرهن لك عن ذلك. اريد ان أكون الى جانبك... وأن احبك.»
عضت فيليبا شفتها وهي تخفي خوفها. كان يجب ان تفكر بذلك.
قالت بلطف:«كلا، يا فابريس. هذا مستحيل. لست بحاجة الى علاقة... غرامية.»
«ربما.. ليس بعد، ولكن سيحصل ذلك بالتأكيد،وأستطيع ان اكون صبورا.» امسك يدها وداعب كفها بإبهامه:«دعيني أرافقك، فيليبا. سأهتم بك وأحميك. لن أطلب منك شيئا بالمقابل. ستسير الأمور وفق إرادتك. اعدك. لقد استحق موعد عطلتي وباستطاعتي ان آخذها في أي وقت، وسأوصلك الى أي مكان عندما ترغبين بذلك. غدا إذا أردت.»
حدقت فيه. كان العرض مغرياً، مع أنه كان حافلاً بالمخاطر. كان فابريس يعرف انه لن يصبر طويلا،

لأنها ستكون مسألة وقت قبل ان تحثها الوحدة على الاستسلام له. سيكتشف غلطته في وقت قريب.
إذا أرادت فعلا ان تنتصر على الآن... تحطم كبرياءه... هل هناك افضل من هذه الطريقة؟ من العدل ان تدعه يظن انها تركته من أجل رجل آخر.
قالت ببطء:«ستمل كثيرا. انا أنوي ان ارسم بجدية.»
قال بحماس:«بإمكاني مساعدتك. باستطاعتي ان احضر الطعام لكلينا. وباستطاعتي ان أكون حتى مساعدك، ولمَ لا؟»
كان بمقدور فيليبا ان تفكر بعدة اسباب، لكنها ابقتها لنفسها. ستكون هناك فوائد كثيرة نتيجة تركها باريس مع فابريس.
اذا استقلت القطار سيقتفي الآن أثرها، وهي لا تريد ذلك. تريد فقط ان تختفي من حياته، على الأقل موقتا، وستترك له مذكرة تخبره فيها ان محاميها سيتصل به لمناقشة الطلاق. لا تريد أي اتهامات او أي محاولة لإبقائها. حتى تتابع دورها كبديلة لماري لور كي تنتهي هي بدورها من فترة الحداد.
لا يستطيع ان يضغط عليها بعد الآن، خاصة بعد ان استعاد كيفين صحته. لكن بإمكانه ان يحاول حتى اقناعها.
لن تستطيع تحمل ذلك. هي بحاجة لأن تبتعد عنه، وفي أقرب وقت. وباستطاعتها ان تعالج موضوع

فابريس، أليس كذلك؟ نظرت إليه وابتسمت قائلة:«غدا، يناسبني تماما وفي أبكر وقت.»

الفصل الثامن

بدأ المطر ينهمر في جنوبي بريغو. فيما هي تراقبه يضرب بعنف على الحاجب الزجاجي، فكرت فيليبا أنه يطابق مزاجها تماما.

اختلست نظرة جانبية الى رفيقها. ولاحظت انفعاله، ينظر من خلال المرآة الى الخلف بخوف شديد. ربما بدأ يدرك بأن الهروب مع زوجة الآن دي كورسي لم يكن العمل الأكثر صوابا في حياته. فكرت مستاءة. إذا كانت محقة في تفكيرها، عندئذ لن يتزعج عندما تخبره ان لا مكان له في حياتها.

حاولت جاهدة ان تبرر موقفها من فابريس، على أساس انها ستقع يوما ما، ربما في المستقبل البعيد في حبه. لكنها عرفت ان هذا لن يحصل ابدا. كان قلبها ملك الآن وحده، وسيظل دائما حتى لو رفضها.

يا لها من مشكلة! فكرت وهي تراقب المطر بنفور. لكن عليها ان تعترف بنجاح هروبها والذي لم تعترضه أي عقبات. استمدت قوتها من فابريس الذي اتصل بدوره بالسيدة بيتون في مونتاسكو بالنيابة عنها وتأكد من امكانية استئجار البيت القديم، بينما كانت هي تشتري أدوات الرسم. تذكرت السيدة بيتون الآنسة روسكو مرحبة،

وأخبرته بأن البيت سيكون تحت تصرفهما لمدة شهرين على الأقل.

لم يبق لديها سوى توضيب حقيبتها الصغيرة، بعد ان اطمأنت الى ان ادوات رسمها اصبحت في سيارة فابريس. وضعت فيها بنطالها الجينز وبعض القمصان والكنزات الدافئة وحذاءها الرياضي وكل مستحضرات التجميل وتأكدت من عدم لمس جهاز زفافها وكل المجوهرات التي أهداها إياها الآن مع ورقة كتبت عليها انها هربت مع رجل آخر... حسنا، برغم انها تكاد تصف الحقيقة، فكرت على نحو دفاعي... وطلبت منه ألا يبحث عنها.

سحبت فيليبا بعض المال من حسابها الخاص ايضا، ومبلغا صغيرا من مصروفها يكفيها لمدة شهرين.

فيما بعد، يجب ان تعتمد على دخلها الخاص. هناك دائما سياح في جنوبي- غربي فرنسا يتمنون الحصول على لوحات تمثل طبيعة هذه المنطقة. قالت لنفسها بتفاؤل: ستحاول ان تستغل الوضع.

كان هروبها من الشقة بعد فجر ذلك الصباح بوقت قصير سهلا، وساعدها على ذلك غياب الآن عن البيت.

حاولت ان تخفف من آلامها بقولها إن عليها ان تكون شاكرة لأنها عالجت الاقفال وجهاز الانذار من دون ان تحدث أي صوت وأسرعت الى حيث

كان ينتظرها فابريس في السيارة من دون ان يراها احد.

تساءلت ماذا ستكون رد فعلها، لو حاول فابريس التودد إليها في طريق الرحلة. لكنها لم تكن بحاجة الى ان تقلق. لقد بدا مغلوبا على أمره. وشارد الذهن على نحو مفاجيء وكان من الواضح انه يخشى ان يتبعه أحد، أكثر من اهتمامه بلعب دور العاشق. وهي تشعر بالامتنان لذلك. تمنت لو كان تصرفه أقل توترا.

قالت بانزعاج عندما نظر مرة ثانية الى الوراء: «اهدأ. لا احد يلاحقنا. باعتقادي، انه ان أزعج الان نفسه بملاحقتي، فهو سيعتقد انني في طريق العودة الى انكلترا، وسيبحث عني في المرافىء فقط.»

تمتم فابريس: «لا نستطيع التكهن بما سيفعله.» بدا متجهما وخائفا قليلا، بخلاف شخصيته الساحرة التي عرفتها في باريس. هل سيوقف فابريس دي تيبري سيارته ويعدو إدراجه، فكرت بأسف.

ارادت ان تاكل شيئا، لكنه أصر على متابعة الطريق، ووعدها بأن يشتري بعض الخبز والجبن من أحد المتاجر، ويقوما بنزهة في الهواء الطلق. لكنها لا تستطيع ان تتذمر من قيادته. ربما كان يسرع من شدة الخوف، لكنهما اكتسبا بعض الوقت حتى يصلا الى مونتاسكو قبل المساء. لقد

وعدتها السيدة بيتون بترك بعض المؤن الغذائية في البيت. وإذا استطاع فابريس ان يخفف من توتره، ففي إمكانه ان يبرهن لها عن قدرته في الطهي.

كانت معتادة على شمس مونتاسكو الساطعة كما رسمها والدها بالضبط. من الغريب ان تجد شوارعها المألوفة لها، مهجورة تقريبا تحت السماء الملبدة بالغيوم، والمطر الذي ينهمر بغزارة أكثر من أي وقت مضى.

عبرا الجسر ثم انحرفا عن الطريق الضيقة مروراً بمنحدر ثم بمنعطف قادهما الى البيت.

وثب قلب فيليبا من الفرح وهي تميل برأسها الى الامام حتى ترى شكل البيت. انها تشعر وكأنها عائدة الى وطنها.

كان بيتا بسيطا، سقفه مزين بالقرميد، وعلى السطح، غرفة صغيرة كان كيفين يستعملها كمحترف، وستفعل هي الشيء نفسه.

عندما اوقف فابريس السيارة أمام الباب قال بتهذيب: «إبقي هنا. سأحضر الحقائب.»

شعرت بالذنب وهي تراقبه يجاهد، لإحضارها تحت المطر الغزير دفعة واحدة. لكنه عندما عاد ثانية، أحضر معه مظلة.

ناولها المظلة وقال: «استعملي هذه. سوف أوقف السيارة في الكاراج في الخلف.»

سمعت صوت محرك السيارة وهي تسرع الى البيت. دفعت الباب بقوة وتوجهت الى غرفة الجلوس مباشرة. كانت الأنوار مضاءة كلها، جعلت المكان يبدو أكثر بهجة. اشتمت ايضا رائحة شهية تصدر من المطبخ.

تنهدت فيليبا بارتياح وهي تنظر حولها وتغلق مظلتها المبللة. لم يتغير أي شيء، فكرت فيليبا وهي تنظر الى الخزانة القديمة بأطباقها الزرقاء والبيضاء، والطاولة الكبيرة التي تتوسط الغرفة والمغطاة بقماش زيتي.

وضعت المظلة في المغسلة ورمت محفظتها الصغيرة على الطاولة ثم صعدت السلالم مع حقيبتها. لم يكن البيت كبيرا، ولكن كانت هناك غرفتان للنوم وحمام صغير.

فتحت باب الغرفة ودخلت. يبدو ان السيدة بيتون، رتبت كل شيء حتى السرير الكبير بغطائه المخملي.

تفحصته فيليبا بحزن... كان كبيراً جداً لشخص واحد، واحتل مع طاولة الزينة كل مساحة الغرفة تقريبا.

وضعت حقيبتها في إحدى الزوايا، ثم راحت تتفحص باقي الغرف. فتحت باب غرفة النوم الثانية، وتوقفت. كان السرير خالي من فراشه. طلبت من فابريس ان يخبر السيدة بيتون ان

تحضر الغرفتين. ربما لم تفهم كلامه جيداً بسبب رداءة الاتصال.

على الرغم من تصرفات فابريس الشهمة، ربما هو يحاول ان يجبرها على مواجهة نهائية. ويضعها تحت الأمر الواقع، حتى تضعف مقاومتها. يجب عليه ان يعيد النظر في ذلك!

كان صوت المطر وهو يتساقط على السطح عالياً ومرحشا. خطر في بالها، وليس لأول مرة، انها تصرفت بطيش، عندما اتت الى هذه البقعة المعزولة مع رجل لم تعرفه جيدا. حاجتها اليائسة للهرب من باريس لتنقذ كبريائها، وذلك بأخذ المبادرة بتركها لآلان قبل ان يطردها من حياته، شوشا تفكيرها.

أخر شيء تريده في هذا العالم، لاحظت بأسف، هو قضاء ليلة حتى لو كانت واحدة مع فابريس تحت سقف واحد. كانت شاكرة لمساعدته لها، ولكن هذا لن يمنحه الحق في التمادي معها.

تنهدت، عليها ان تحضر له الطعام ثم تطلب منه بصراحة... ان يجد مكانا أخر في مونتاسكو لينام فيه، حتى لو اضطرت لأن تدفع مالها كله. تمنت لو أنه يذهب من دون أي اشكالات. لم تعده بشيء، لكن وجودها معه هنا، وضعها في موقف محرج.

سمعت باب الطابق الأرضي يغلق. قررت ان تنزل وتواجهه قبل ان يصعد ويجدها في غرفة النوم.

اخذت نفساً عميقاً ونزلت السلالم، وهي تفكر بما ستقوله. كان يقف وظهره مواجها لها، ينفض الماء عن معطفه. والآن، بعدما اصبحت بمفردها معه، بدا أطول قامة وأعرض بنية... بالاجمال كان يبدو رائعا في هذا المحيط الضيّق والعادي، او هل انها تتوهم فقط؟

«فابريس...» عرفت ان صوتها كان ناعماً، لكنه كان متوترا. «فابريس، كنت أفكر...» توقف الكلام في حلقها، عندما استدار لمواجهتها. احكمت قبضتها على حافة الدرابزين، حتى ابيضّت مفاصل يدها عليه. وتلاشى صوت المطر بفعل ضربات نبضها العنيفة، وهي تحملق فيه. انها لا تحلم، فكرت، لكنه كان واقفا أمامها بلحمه وعظمه. يا للهول... الآن.

قال بلطف من دون ان يبتسم: «ماذا كنت تفكرين، سيدة؟ اعتقد ان لديك الكثير من الطعام.»

قالت بصوت أجش: «أنت! ماذا تفعل هنا.»

«من المفترض ألا يتواجد الزوج إلا مع زوجته.» وضع معطفه على الكرسي، ثم تقدم خطوة نحوها.

تراجعت فيليبا: «لا تقترب مني اين فابريس؟»

حرك الآن كتفيه بلا مبالاة ثم ابتسم بسخرية وقال: «اعتقد انه مازال في المرحلة الأولى من رحلة العودة الى باريس. قد تجدين ذلك مؤسفا، تشعرين

بالندم؟ انا آسف، يا زوجتي، سأعمل المستحيل حتى... أعوض عليك.»

بدت هذه الكلمات، وكأنها تجمدت بينهما في الهواء. وفجأة بدا الدرابزين الخشبي تحت اصابعها الشيء الوحيد الثابت في هذه الدوامة.

ارجعت رأسها الى الوراء وقالت: «لست بحاجة الى مؤاساة احد. ولا اريد منك شيئا، الآن سوى حريتي. ممكن ان يكون طلاقنا سريعا ومن دون أي عقبات كما تريد. لقد أعدت لي أبي ولن اطلب منك أي شيء آخر. اقسم لك بذلك. فقط طلاق هادىء.»

قال بلطف: «تجعلين الأمر يبدو سهلاً. ربما انا لست مستعدا لأن ا تخلى عنك. ربما لا تريدين شيئا مني، لكن انا اريد الكثير منك.»

بدأ قلبها يخفق بسرعة: «انت مجنون! ماذا علي ان أقول حتى اقنعك بأن هذه... المسرحية قد انتهت؟ لقد هجرتك الآن لأبدأ حياة جديدة. لا اعرف كيف وجدتني...»

«الأمر كان سهلاً. وضعتك انت ومنقذك تحت المراقبة منذ ان تعرضت لحادث السرقة.»

ارتفع صوتها: «ماذا فعلت؟ إني لا اصدق.»

«لماذا؟ هل اعتقدت بأنني لن أقوم بأي خطوة لأحمي مصالحي... و أنني سأتخلى عنك بهذه البساطة؟» كان صوته ساخرا: «كان كل شيء مدروسا،

صدقيني، خصوصاً مقابلتي مع حبيبك المفترض البارحة. يجب ألا تثقي بالناس جميعا، ياحياتي. شاب مثله يُشترى بسهولة، لا يستحقك.»

«يُشترى؟ إني لا أفهم.»

قال بطريقة جافة:«هذا واضح. اتمنى ألا تكونين قد تعلقت به كثيرا، يا فيليبا. وخصوصا ان عمي دفع له حتى يغويك.»

صرخت بصوت أجش:«انت تكذب.»

«إذا كنت أكذب فعلا، لماذا لم يبق ويساندك؟ وتطلبين مني إن اخرج من حياتك؟»

بدا الآن متعبا فجأة «أثار حادث السرقة شكوكي. كل شيء كان مدروسا بدقة بالغة. لذلك قمت ببعض التحريات واكتشفت ان فاليريس كان يعمل عند عمي لويس، وكان يزوره يوميا، وربما يقدم له التقارير عن علاقتكما.»

«هذا غير معقول! لماذا فعل عمك ذلك؟»

«الامر بالنسبة له معقول جدا. فهو يتمنى ان يتداعى زواجنا. ويبدو انه اخبر الجميع بأن خياناتي الزوجية، ستقودك الى حافة الانهيار. يتكلم عنك باهتمام وبعاطفة... زوجة ابن أخيه البريئة والمخدوعة. يقول بأنك حزينة جدا... ولكن لا يلومك احد إذا هربت مني. وبذلك... يحصل على الفضيحة التي طالما انتظرها، ويجد العذر الكافي ليخوله مهاجمتي ثانية، وتشويه سمعتي، ويزكد

بعد ذلك لمجلس الشركة انني غير جدير برئاستها. والاشخاص الذين استمعوا إليه في المرة السابقة، سيستمعون ثانية، وربما بانتباه أكثر.»

اخذت فيليبا نفسا عميقا:«لا يعقل ان يكون هناك شخص بهذه الحقارة. لن أصدق أي كلمة مما تقول.»

«اعتقدت بأنك ستقولين ذلك.» سحب الآن مغلفاً من جيب معطفه. «لقد إجبرت صديقك على الاعتراف خطيا. كان صريحا جدا. هل تريدين قراءته؟»

«كلا.»

«لا تيأسي، يا عزيزتي. يبدو أنه استمتع برفقتك كثيرا.» توقف قليلا:«اتمنى ألا تكوني سهلت عليه مهمته.» ابتسم لكن كانت عيناه قاسيتين.

احنت فيليبا رأسها:«إذا كنت فعلا تراقبني، وقرأت هذه المذكرة فهذا يعني انك تعرف الإجابة مسبقا.»

بدا صوته مصمماً:«ومع ذلك أحب ان اسمع تأكيدك الشخصي. اخبريني، يا زوجتي العزيزة، هل منحته نفسك؟»

قالت على نحو حاسم:«كلا.»

قال بصوت ساخر:«إذا، كانت هذه ستكون أول مرة لكما. يا صغيرتي المسكينة، هل افسدت عليك مشاريعك؟ في هذه الحالة، أقل ما يمكن عمله بعد ان حرمتك من حبيبك، هو ان أجد لك بديلا.»

اصبح صوتها جافا:«ماذا تعني؟»

«اعني بأن زواجنا لم ينته. بخلاف ذلك. إنه على وشك ان يبدأ.» تفحص الان الغرفة وأضاف:«ربما هذا ليس المكان المناسب لقضاء شهر العسل لكنه سينفع.»

صرخت فيليبا بغضب:«شهر العسل؟» ووقفت بسرعة:«أي لعبة تلعبها معي الآن، يا الان؟»

«ليس هناك أي لعبة. انت زوجتي، ولن يمتلكك احد غيري. لقد حان الوقت لأوضح لك ذلك.»

قالت بصوت عال:«ولقد حان الوقت لأوضح لك شيئاً ايضاً. جئت الى هنا لأبدأ حياة جديدة خاصة بي... لارسم... لأجد بيتا لوالدي يأويه، بعد ان يعود من الولايات المتحدة. ليس لك مكان هنا.»

«ومع ذلك كان يوجد مكان لفابريس دي تيبيري.»

نظرت إليه:«ليس بالطريقة التي تفكر بها. من انت حتى تحاكمني على تصرفاتي بعد أن...» توقفت، وأخذت نفساً عميقاً:«كنت بحاجة الى من يقلني الى هنا، فابريس كان... سيهتم بشؤون البيت فقط، ويكون مساعدي، هذا كل ما في الأمر.»

«آه، كلا، يا جميلتي. انت لست بهذه السذاجة، ولا أنا ايضاً.»

قالت له بتحد:«فكر كما تريد.» وهي تعيد الى ذهنها ذكريات هواجسها تابعت:«أرجوك، لا تحكم علي بمقاييسك المنحطة. لا أريد حبيباً.

جئت للعمل فقط، ولأبدأ حياتي من جديد.»

قال بصوت هادئ:«وماذا عن حياتنا؟»

«ليست لدينا أي حياة.» عضت على شفتها. وتابعت:«انا لست بزوجتك. لم أكن كذلك ابدا. الافضل ان نفترق. عندئذٍ يمكنك ان تتزوج... من صديقتك.»

قال الان ببطء:«شكراً لأنك سمحت لي بذلك... لكن هل انت متأكدة بأنها تريد الزواج مني؟ فهي الآن ارملة ثرية.»

نظرت فيليبا الى الأرض وهي تتذكر لور بين ذراعي الان. قالت بصوت خفيض:«هذا شأنك الخاص.»

«هذا صحيح. لكن مازال هناك بعض الأمور المعلقة، والتي تحتاج لمناقشة، يا زوجتي.»

«اعتقدت انك ستكون مسروراً.. وممتناً بعد ان اخرج من حياتك. السعادة أمامك الآن... ولن يمنعك احد من التمتع بها. ولن يتجرأ عمك على افتعال فضيحة ثانية، بعد ان تتزوج البارونة.»

رفع حاجبيه وقال:«يبدو انك خططت لكل شيء.»

«كان لدي متسع من الوقت لأفكر بالموضوع... وأتخذ القرار المناسب.»

نظر الان حوله:«هذا هو؟»

رفعت ذقنها:«اعتقد ذلك. لا اعتقد ان المكان يليق بك، لكنك جئت الى هنا، بملء إرادتك.»

«لا احتاج الى من يذكرني بذلك. هل لي ان أذكرك

بشروط اتفاقنا؟» لفت فيليبا ذراعيها حول جسدها على نحو دفاعي قالت:«لن اعود الى باريس وأنتظرك حتى تطلقني. لا داعي لبقائنا معا بعد الآن. لقد تحسنت صحة كيفين، وسأظل دائما ممتنة لك. فعلت ما بوسعي لأقوم بدوري جيدا، وإني آسفة إذا كنت تشعر بأنني لم استحق مالك. بصراحة، لن اتحمل أكثر.»

قال:«لم افكر بقيمة الاشياء.» ثم تابع ببطء:«هل تناسيت رغبتي في الحصول على وريث؟ اوضحت لك ذلك عندما طلبت منك الزواج.»

وجدت صعوبة في التنفس، وهي تحدق فيه غير مصدقة:«كلا، لم أنسَ لكن الوضع يختلف، في هذه الظروف لا يمكن ان تتوقع مني...»

«لماذا؟» كان صوته ناعما وعيناه باردتين.

حاولت ان تضحك:«لأن هناك حياة ثانية تنتظرك. بإمكانك ان تكوّن عائلة عندما تتزوج.»

«ربما لدى العروس المفترضة أفكار اخرى، تمنى زوجها السابق الحصول على وريث، لكنه مات دون أولاد في النهاية.»

إذا لم يكن مسلوب العقل، فكرت فيليبا بحزن. كان يعرف حقيقة ماري لور، ومع ذلك أرادها له. طردت الفكرة من رأسها.

«عليك مناقشة ذلك معها. هذا لا يخصني بشيء.»

«بل يخصك بالتأكيد، يا عزيزتي.» أسند الآن

مرفقه على طاولة المطبخ وابتسم.تابع:«تتكلمين عن طلاقنا وزواجي مرة ثانية بثقة تامة. انت مخطئة. انا مقتنع بما عندي، ولا أريد ان اغير حياتي. هل فكرت بذلك؟»

«لا يمكن ان يكون ذلك صحيحاً. لا احد يستطيع. ألا تريد ان تكون سعيدا... بزواج حقيقي من المرأة التي تحبها؟»

وافق قائلا:«بالطبع، لكن إذا كان الأمر مستحيلاً، لن اكون أول رجل يرضى بالبديل.»

رمقته فيليبا بنظرة احتقار، وقالت:«ربما لا اريد ان اكون الزوجة الخنوعة والتي يتوجب عليها ان تتغاضى عن نزوات زوجها. هل فكرت بذلك؟»

تمتم الآن:«خنوعة؟ كلمة لا تلائمك ابدا، يا حبيبتي.»

قالت:«انا مسرورة لأنك فهمتني. ولن اسمح لنفسي بأن أستعمل كآلة لإنجاب الاطفال.»

ضحك بصوت مرتفع، قال:«تتصورين الأمر كأنه عمل آلي!»

«كم مرة يجب ان اقول لك ذلك؟ لقد هجرتك، يا آلان. لم يكن يتعين علي ان أوافق على الزواج منذ البداية. لقد كانت غلطة فظيعة.»

اومأ برأسه موافقا:«نعم. لكنها كانت غلطة، ويجب ان نستمر في تحملها لفترة.» توقف لبرهة ثم قال:«على الأقل حتى احصل على طفل.»

تملكها الغضب عندما فكرت ملياً في طلبه. لو كانت الظروف مختلفة لاعتبرت الأمر رائعاً، وفي منتهى السعادة. لكن في الحقيقة هو لا يحبها... وهي مجرد امرأة ملائمة لأن تكون أماً لولده، وهذا هو العذاب بحد ذاته.

نظرت إليه وهزت كتفيها: «لقد خططت لمستقبلي جيداً، ولن يغير كلامك قراري، يا ألان. لقد انتهى كل شيء.»

«تتكلمين بثقة تامة. ومع ذلك ولأول مرة منذ زواجنا الغريب، نحن بمفردنا تماماً. عندما تمر الأيام... والليالي... ألا تعتقدين ان باستطاعتي ان اقنعك بأن تكوني لطيفة أكثر معي؟»

«متى كان الجو لطيفاً بيننا؟» احست بمرارة صوتها.

«نادراً، هذا صحيح، ولكن لن تسير الأمور دائماً هكذا. يمكننا... المحاولة من جديد.»

بدا صوته حزيناً... ومتواضعاً تقريباً، وحبست فيليبا انفاسها. أرادت في هذه اللحظة ان تعبر المسافة التي تفصلهما، وتلقي بنفسها بين ذراعيه. سيكون الأمر سهلاً ولكن مهلكاً. عندما أحست بضعفها، حاولت ان تعاود هجومها.

«ماذا عن السيدة سومرفيل؟ هل طلبت منها الإذن لهذه المصالحة المؤثرة؟»

«هي تعيش الآن في عزلة.»

«آه، إني أفهم.» وقفت فيليبا. انتهت لحظة ضعفها وحيرتها، وأصبحت متوترة ثانية: «كم انا غبية! لا يمكنك رؤيتها وهي في فترة حداد. لذلك فكرت بأن تسلي نفسك معي قليلاً. يا لها من قصة! لا تكون الزوجة عادة مدركة هذه الأمور.»

تقدم ألان خطوة نحوها «كيف تجرؤين؟ اسمعيني جيداً، ايتها الغبية الصغيرة...»

«لقد سمعت ما فيه الكفاية. اريدك ان تذهب، يا ألان. إذهب... الآن. ألم تفهم بعد؟»

«انت لم تفهمي. تبا. فيليبا لقد أتيت كي أراك... وأتحدث إليك...»

«لقد ضيعت وقتك.» تقدم خطوة اخرى نحوها. وتراجعت هي بدورها على السلالم ويداها ممدودتان الى الأمام، وكأنها تدفعه عنها بعيداً.

«كلا!» بدا صوتها هستيريا. «لا تلمسني... لا تقترب مني...»

همس: «يا للهول. انت خائفة مني. هل تجدينني فعلاً مرعباً؟»

ارتجفت: «اذهب... ارجوك.»

قال بهدوء: «حسناً. إذا كانت هذه رغبتك.» اخذ معطفه، ثم وضعه على كتفه، ولم تفارق عيناه عينيها ثم سار باتجاه الباب.

عندما وصل الى المدخل استدار. كان يبتسم، ولكن بدا وجهه متجهماً كالشتاء. قال: «الأمر مضحك.

من بين كل النساء زوجتي هي الوحيدة، التي لا استطيع الحصول عليها. إلى اللقاء، يا جميلتي، اتمنى لك التوفيق.»

راقبت فيليبا الباب وهو يغلق وراءه. عندما اصبحت بمفردها، نزلت السلالم، تتلمس طريقها كالعمياء.

لقد ذهب الآن. لقد كانت قوية... وجريئة معه لدرجة أنها استطاعت ان تبعده عنها. الآن كل ما عليها ان تواجهه الوحدة، نتيجة جرأتها... في كل يوم تبقى من حياتها.

الفصل التاسع

كانت ما تزال جالسة تحدق في الفراغ. عندما فتح الباب بعنف، بعد عدة دقائق، ودخل آلان بوجه متوعد.

قفزت من مكانها، مصدومة، فسقطت الكرسي الى الوراء محدثة ضجيجا.

واجهها بشراسة عبر الطاولة التي تفصلهما، وعيناه تقدحان شررا ويداه مرفوعتان لإسكاتها عندما حاولت ان تتكلم.

«نعم، لقد عدت، لكن ليس بمل» إرادتي، اني اؤكد لك ذلك؛ إذا ارجوك ان تعفيني من اتهاماتك التي كنت على وشك ان تنطقيها بلسانك اللاذع.»

ارتجف صوتها: «انك مخطىء. لا تستطيع ان تلومني لأنني فوجئت. اعتقدت بأنك في طريقك الى باريس.»

«كنت انوي ذلك. لكن يبدو ان حبيبك لديه أفكار اخرى...» توقف. «إطارات السيارة كلها مشقوقة. لن أذهب الى أي مكان الليلة.»

عضت فيليبا شفتها «هل فعل فابريس ذلك؟ لكن لماذا؟»

هز كتفيه على نحو مقتضب وأجاب: «الحقد، اعتقد. أراد ان ينتقم لأنني اكتشفت حقيقته... وأفسدت

عليه لعبته معك.» ابتسم لها بنفور، وتابع: «ربما اخطأت في الحكم عليه، يا زوجتي، وربما لم تكن المسألة مادية فقط. ربما أرادك لنفسه.»

«اتمنى ألا تتوقع مني ان اشعر بالإطراء. إني أسفة بالنسبة للسيارة، لكن هذه ليست نهاية العالم. هناك مرآب في مونتاسكو. ستجد عندهم ما يكفي من الإطارات. إني متأكدة.»

قال: «غدا.» هز رأسه بسخرية هو يرى نظرة الرعب في عينيها: «لا أنوي ان أمشي كل الطريق تحت المطر كي أصل الى مكان المرآب، الذي من دون شك قد أقفل الآن.»

«وربما لا...»

قال: «لست مستعداً لأبرهن لك على ذلك، بطريقة او بأخرى.» ثم اضاف بلطف: «إني على وشك ان أكون ضيفك الليلة...»

حركت يديها بشكل ملتوي: «هذا مستحيل! بإمكانك ان تمضي الليلة في السيارة أو... هناك فندق صغير في آخر البلدة...»

قال الآن بعبث: «اتمنى ان تزدهر اعماله. لن أكون أحد زبائنه. ولن أعرض نفسي للمرض في السيارة. انت لست مضيافة، يا عزيزتي.»

تورّدت وجنتاها: «لا تتوقع ذلك مني، ابدا.»

«انا ايضا.» ثم تابع ساخرا: «هل تتوقعين مني ان اقرض نفسي على فتاة، كانت منذ نصف ساعة

ترتعد مني. لقد اكتفيت من ذلك في ليلة زواجنا، إذا كنت تتذكرين.» توقف بتعمد، وحرك حاجبيه بسخرية عندما ارتعدت. «ارجوك توقفي عن النظر إلي، وكأنك فأرة وأنا هرّ جائع. دعينا نحاول ان نتصرف كأشخاص متمدنين على الأقل لما تبقى من هذه الليلة.»

قالت فيليبا ونبرة التمرد في صوتها: «ربما انت الذي شق إطارات السيارة.»

تنهد: «ربما!» أيتها المرأة السليطة اللسان، الصغيرة. على كل حال، لم أفعل أي شيء من ذلك.» وسار نحو الطاولة ثم سحب الكرسي الذي على الأرض. قال: «ارجوك اهدئي قليلا.» أشار الى الفرن: «هل ستتناولين ذلك الطعام ام ستدعينه يحترق؟»

هزت فيليبا كتفيها معلنة استسلامها: «اعتقد أننا سنتناول العشاء.»

«لقد تناولنا الطعام معاً عدة مرات من قبل. لن يكون الأمر مؤلما لهذه الدرجة.» ثم تابع بشكل فظ: «الفرق ان هنريت لن تكون معنا حتى تخدمنا.»

قالت: «كلا.»

كانت تتذكر ما قاله لها في أول يوم من زواجهما عندما كانا معا وبمفردهما، وأرعبتها هذه الصورة. يعتقد انني خائفة منه، لكنه مخطىء. إني خائفة من نفسي... خائفة من ان أخون مشاعري. لأنه إذا عرف، سأصبح تحت رحمته الى الأبد. ولن

أقدر على تحمل ذلك. أكون الزوجة اللطيفة، التي يدعي زوجها عندما يتغيب عن البيت، أنه في المكتب يعمل حتى ساعة متأخرة. أفضل ان أعيش بعيدا عنه ولا اتحمل تلك الأكذوبة.

رتبت الطاولة ووضعت بعض السكاكين والملاعق. قطع الان الفطيرة التي أعدتها مدبرة المنزل السيدة بيتون ثم فتح زجاجة العصير.

شعرت بالتوتر من هذه الألفة البسيطة. وجدت نفسها تفكر، لو... وطردت الفكرة من رأسها قبل ان تترسخ في ذهنها. هذا ما كانت تخاف منه، الألفة الصادقة في تحضير الطعام معا. هذا هو معنى الزواج الحقيقي. هذا هو الخطر بحد ذاته.

أكلت فيليبا جيدا على الرغم من الصراع النفسي في داخلها. لم يحاول الان ان يجرها الى الحديث، وكانت شاكرة لذلك. أنهيا الوجبة بالجبنة والفواكه، وبما تبقى من الخبز.

«قهوة؟» دفع الان كرسيه الى الوراء، وأمسك بالابريق.

لم تستطع فيليبا إخفاء دهشتها: «هل تجيد تحضير القهوة؟»

قال بحدة: «بالطبع. وستندهشين أكثر، يا زوجتي، لو عرفت بأنني أجيد الطهي. عندما كنت صغيرا كنت أذهب في رحلات صيد مع والدي. كان يؤمن بالاكتفاء الذاتي.»

«وهل كانت والدتك ترافقكما؟»

ضحك وقال: «كلا. كانت مثلك مهتمة بالرسم والألوان المائية. كانت مجرد تمضية وقت بالنسبة لها، أشك في ان عملها كان فيه سحرا أكثر من الموهبة، لكن والدي كان يجده رائعا. لقد علق كل اعمالها في بيتنا في فونتانبلو.»

كادت ان تقول: اتمنى ان أراها، يوماً ما. لكنها توقفت في الوقت المناسب. تساءلت عن شكل هذا البيت وبيوت الآن الاخرى ايضا. لم يقترح عليها قط زيارة احدها، وهذا يؤكد عدم أهميتها في حياته.

«هل عاش أهلك في فونتانبلو؟»

اومأ برأسه ايجابا: «طوال حياتهما معاً. لقد كان بمثابة بيت العائلة.» كان في صوته حنين، وكأنه يسترجع ذكريات الماضي الجميلة.

خفق قلبها. قالت: «يبدو أنهما كانا سعيدين معاً.»

«نعم، اعتقد ذلك، على الرغم من كل شيء.» لاحظ نظرتها المتسائلة وهز كتفيه مستطردا: «كان زواجهما مدبرا ايضا. واجها الكثير من المتاعب في بداية زواجهما.» اضاف بسخرية: «لكن من ليس عنده متاعب؟»

قالت: «نعم.» ثم دفعت كرسيها الى الوراء: «لا اعتقد أنني سأشرب القهوة، سأصاب بالأرق إذا فعلت، ويجب ان ابدأ العمل باكرا، غدا.»

قال آلان برقة:«لكنك نسيت شيئاً آخر. عليك ان ترشديني الى المكان الذي سوف أنام فيه.»
عضت على شفتها:«أوه، نعم. هناك غرفتان واحدة فقط مجهزة. تجلب السيدة بيتون كل الشراشف من المزرعة و...»
ابتسم آلان:«غرفة واحدة. مسكين فابريس! إني أفهم سبب خيبته ورغبته في الإنتقام مني.»
قالت فيليبا باختصار:«لقد ارتكب غلطة فادحة، وأنت كذلك. لم يكن في نيتي ابدا ان اتركه ينام في غرفتي.»
قال بصوت قاس:«اعتقد انه كان عليك في هذه البقعة النائية، يا عزيزتي، ان تكوني اكثر حكمة وتفهمي نواياه. ألم يخطر في بالك أنه من المحتمل ان تجدي نفسك في وضع لن تقدري على معالجته؟»
تورّدت وجنتاها ودافعت:«لكنني اوضحت له الأمر جيدا.» ثم تابعت بضعف:«كان يبدو دائما... محترما.»
«هذا المنجور الذي شق إطارات سيارتي.» لاحظت ابتسامة غاضبة. «كان سينقض عليك قبل ان تفتحي عينيك، ايتها الغبية الصغيرة.»
رفعت ذقنها وقالت:«كنت يائسة، وعندما ايأس اتصرف دائما بغباء... كما يجب ان تعرف ذلك.»
«وزواجنا مثال على ذلك.»

فاجأتها المرارة في صوته.
«الافضل ان ترشديني الى الغرفة، يا سيدة. لدي دثار سميك في سيارتي. سأستعمله لهذه الليلة فقط.»
هزت رأسها بصمت، ثم قادته الى الطابق العلوي. كان باب غرفتها مفتوحا، واستطاع آلان ان يرى السرير العريض والنظيف، لكنه لم يعلق.
وجدت نفسها تتساءل فجأة، وبجنون كيف ستتصرف لو ان آلان اخذها بين ذراعيه، ودفعها بالقوة الى الغرفة وإلى السرير الناعم...
فتح باب الغرفة الصغيرة ثم قالت وهي تلهث:«ستنام هنا. والحمام في آخر الممر. اتمنى ان تجدها مريحة.»
«هذا صعب جداً. عمت مساءً، يا فيليبا.»
ردت له تحية المساء، ثم اسرعت الى غرفتها. فكرت في ان تقفل الباب بالمفتاح، ولكنه صدى، وهي لا تريد على كل حال ان تبالغ في تصرفها.
سمعت خطواته على السلالم، وهو يعود بعد فترة قصيرة، ربما مع دثاره.
بعدما خيم الهدوء، نزعت عنها ثيابها بسرعة، استحمت، ثم انسلت تحت غطاء السرير المخملي.
لكن النوم جفاها. فكرت وهي تحدق في الظلمة، لم تستطع النوم، ولن يكون الأمر سهلا إذا كانت

ستستمر وتتظاهر بعدم الاهتمام... وأن زواجهما كان غلطة هي مستعدة لإصلاحها. ومع ذلك يجب ان تتقبل الوضع. لأن آخر شيء تريده، هو ان تمنح نفسها له وتدع الآن يعرف أنها تحبه. طلاق هادئ، فكرت، هذا ما تحتاجه. جرح يمكن ان يلتئم... في آخر الأمر.

كانت الشمس تشع من خلال الستائر عندما فتحت عينيها في الصباح التالي. نظرت الى ساعتها ثم نهضت مسرعة.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة. ارتدت ثيابها بسرعة وسارت متجهة نحو السلم واختلست نظرة الى غرفة الآن. لم يكن له أي أثر. ربما رحل، فكرت وهي تترنح في مشيتها.

كانت الغرف في الطابق الأرضي فارغة ايضاً لكنها اشتمت رائحة القهوة وشاهدت طبقا وصحنا في المغسلة. من الأرجح أنه تناول فطوره.

كانت تعد لنفسها بعض القهوة، عندما سمعت صوت محرك السيارة. نظرت من خلال النافذة التي فوق المغسلة، فرأت شاحنة كبيرة تجر سيارة الآن وراءها. ظهر الآن بعد لحظة قليلة، وهو يمشي ببطء ورأسه منحن.

اسرعت لمواجهته عندما دخل من الباب: «ماذا حدث؟ لماذا اخذوا سيارتك؟ ألم تجد عندهم الإطارات المناسبة؟»

قال: «هذه ليست المشكلة. لقد عبث صديقك فابريس بالمحرك ايضا. يعتقدون أنه بحاجة الى قطعة غيار جديدة. وسيتطلب ذلك بعض الوقت، ربما يوما او يومين.»

«كلا!» ضربت كفيها على اللوح الخشبي، وهي تشعر بالإحباط ثم تابعت: «هذا لا يمكن ان يحصل ابدا.»

قال بحدة: «إني أؤكد لك انه حصل. لست الوحيدة المنزعجة من ذلك، صدقيني.»

«لكنك لست بحاجة الى الانتظار حتى تصلح سيارتك. بإمكانك ان تستأجر سيارة...»

قال على نحو مقتضب: «افضل ان ابقى هنا حتى أراقب عملهم.»

«لكنك وعدتني بأن تذهب. لا يمكنك ان تبقى هنا!» لاحظت الذعر الذي بدا في صوتها، وحاولت ان تضحك: «أعني أنا بحاجة للبقاء بمفردي. اخبرتك ذلك.»

قال ووجهه خالياً من أي تعبير: «رغم ذلك، الوحدة التامة لم تكن جزءا من خطتك الأساسية. هل اعتقدت أنك كنت ستقدرين على طرد فابريس دي تييري بهذه السهولة؟»

اعترفت بائسة: «ربما لا. لكنه كان سيفيدني.» رمقها بنظرة ساخرة وتوردت وجنتاها من الغضب. «كلا، ليس بتلك الطريقة. كان سيصبح عارضا.»

كان صوته قوياً: «رائع. هذه القصة تتحسن أكثر وأكثر.»

«هذه ليست قصة. انا بحاجة إلى ان اعمل على لوحة طبيعية، هذه أوامر زاك. ولذلك احتاج الى عارض. والذي سأضطر الآن ان اجلب واحدة بالأجرة.» وجهت إليه نظرة محرقة: «العرض ليس بشيء فاسق بالنسبة للرسام.»

«اتساءل إذا كان دي تييري سيأخذها من هذا المنطلق.» ثم أردف بتفور: «ربما كان سيوافق معي على ان الفتاة هي متعة لكل الحواس وليس فقط العين.»

ردت بحدة: «انا متأكدة من ان هذه وجهة نظرك. لكن تأكد أنه ما كان سيجر فتيات للعرض هنا. وعلى كل حال انت لست فنانا.»

ضحك: «إني أوافق مع أبي على ان فناناً واحداً في العائلة يكفي. سأذهب الى المزرعة لأبحث عن سرير مناسب. لا أنوي ان اقضي ليلة أخرى على سجادة السيارة.»

راقبته فيليبا، وهو يعبر الساحة الى البوابة الخارجية، وهي تسكب لنفسها بعض القهوة. تنهدت.

سألت نفسها بتوتر لماذا لم يتقبل موقفها وبقي في باريس، حيث مكانه المناسب؟ لماذا لحق بها الى هنا، يعذبها، يلهيها... ويهينها بكلامه ويؤكد لها

استمرارية اتفاقهما؟ كل يوم يفرض عليها ان تبقى معه تحت سقف واحد، كان بمثابة جرح جديد. يبدو ان العمل هو الأمر الوحيد الذي سيريح أعصابها المتوترة.

عندما انتهت من تناول فطورها، صعدت الى الطابق العلوي. هذا البيت استأجره الفنانون بانتظام من قبل، وقد استعملوه بمثابة محترف، ولذلك كانت الغرفة الكبيرة فارغة تماما.

تجولت فيليبا في المكان حتى وجدت طاولة صغيرة. وضعت عليها قماشا أصفر قبل إن تصنع أدوات رسمها. أحضرت من المطبخ إبريقا وبعض الأقداح وزجاجة شراب وسلة مليئة بالفاكهة. تطلب منها بعض الوقت حتى استطاعت ان تضع كل هذه الاشياء في أماكنها الملائمة.

كانت تتفحص نتيجة عملها عن بعد، عندما صعد ألان السلالم الخشبية.

«قال بعبث: «لم توافق السيدة بيتون على استضافتي عندها. اندهشت عندما سمعت ان هناك أكثر من سرير واحد سيستعمل. إنها إنسانة رومانطقية، مع أنها أصرت على مناداتي بالسيد دي تييري.»

تورّدت وجنتاها: «نعم... حسنا، لقد اتصل بها فابريس وأعتقد أنها تفكر...»

«ان ما تفكر فيه واضح جدا. لقد طلب منها ان تحضر غرفة واحدة.»

ازداد تورد خديها. قالت على نحو حاسم:«لم أفعل ذلك. لكن لحسن الحظ، لم يعد هذا مهما.»

حولت نظرها ثانية الى الطاولة بتعمد ثم هزت رأسها:«هناك شيء ناقص.»

وقف آلان الى جانبها. قال بعد لحظة

«لماذا لا تستعملين الزجاجة كشمعدان؟»

قالت:«أجل، انت على حق.» وهي تشعر بالانزعاج لأنه استطاع ان يلاحظ ذلك بوضوح، مع انها تفحصته جيدا. لم تكن تركز. فكرت:«يجب ان يكون هناك بعض الشمع في المطبخ.»

نزلت السلالم وهي مدركة أنه يتبعها، عبرت الباب المزدوج الى الجزء الرئيسي من البيت.وجدت هناك حزمة على طاولة المطبخ.

اقترب آلان منها وقال:«لو كنت في مكان فابريس لما قبلت بغير هذا الأرنب لعشاء الليلة.»

حاولت فيليبا ان تتكلم بهدوء، وهي تأخذ بعض الشموع من درج الخزانة. «ليس لديّ أي فكرة عمّا سأفعله بأرنب.»

قال لها:«لكن انا لديّ هل تفضلينه مع حساء البصل والعشب أم مع الخردل فقط؟»

قالت بضعف:«مع البصل والعشب، اعتقد.»

قال بنشاط:«حسنا، سأناديك عندما انتهي من إعداده.»

«لا تزعج نفسك...»

قاطعها:«هذا من دواعي سروري، يا حياتي.» كانت في ابتسامته مسحة من السخرية.«تعويض بسيط، ربما لأنني جعلتك تعانين من حضوري المزعج.»

تبا، لو أنه يعرف... قالت بضعف:«شكرا لك.»

وأسرعت الى المحترف.

تدربت كثيرا على موضوعها. حاولت ان تركز، وعندما جاءت فترة ما بعد الظهر، لم تكن راضية ابدا عن عملها. بدا رسمها متكلفا... وعشوائيا، فكرت بتململ. لكنها بدأت العمل، على الأقل.

كانت تنبعث من المطبخ رائحة طعام شهية، فركت أنفها بإعجاب، وهي تتوجه الى هناك.

كان آلان جالسا الى الطاولة يُقطع الجزر الى شرائح. نظر إليها وسألها:«هل انتهيت لهذا اليوم؟»

«اعتقد ذلك.»

جلست في مواجهته وراقبته:«هل كنت تحضر الطعام طيلة فترة ما بعد الظهر؟»

«على الاطلاق. تجولت في القرية قليلاً، ثم تكلمت مع بعض سكان المنطقة.» حملقت فيليبا فيه. «ألم تشعر بالملل؟ أعني انها مختلفة عن نمط حياتك. لا بد أنك تشعر وكأنك منعزل عن عملك... وعن كل شيء.»

«انت لا تعتقدين ان باستطاعتي الاسترخاء؟»

قالت ببطء:«ليس تماما. لكنك تبدو دائما مليئا

بالقوة والنشاط. اعتقدت انك ستجد الحياة هنا... مخيبة.»

بدا مندهشاً: «إذا كنت أشعر بالخيبة، تأكدي ان لا علاقة لذلك بالمكان، صدقيني.»

لاحظت فيليبا بغيظ ان ليس لديها الكثير لتقوله. كان الأرنب شهيا، خفيفا وله نكهة خاصة مميزة مرفقا ببطاطس صغيرة وجزر مغمس بالزبدة.

«ما رأيك ببعض الجبنة؟» راقبها الان وهي تلتهم الحساء مع قطعة خبز.

هزت رأسها وقالت: «لا استطيع. انت طاه ماهر حقا.» ترددت ثم أضافت: «انت إنسان مدهش احيانا، يا الان.»

«هل تعتقدين ذلك، يا حياتي؟» كان صوته جافاً. «لقد اعتقدت ان بإمكانك ان تتنبأي بكل تصرفاتي.»

عضت فيليبا على شفتها: «كلا. لم أتوقع ابدا انك ستتبعني الى هنا.»

سألها: «هل اعتقدت انني كنت سأتخلى عنك بهذه البساطة لنوايا السيد دي تييري، المشكوك فيها؟» ثم اضاف: «كلا يا فيليبا، لقد اخبرتك، إذا كنت تتذكرين، بأن علينا ان نتحدث بجدية، أنت وأنا.» شدت على اسنانها: «نعم، من الافضل مناقشة الموضوع من خلال المحامين.»

خيم صمت ثم أضاف بلطف: «بالطبع... إذا كان هذا ما تفضلين.»

«اعتقد ذلك، علينا ان نكون واقعيين على كل حال.»

«نعم.»

نهض عن كرسيه، ثم بدأ بتنظيف الطاولة.

وقفت فيليبا وقالت: «دعني أقوم بذلك. ليس من العدل ان تقوم بكل شيء.»

«انت من أنصار العدالة، أليس كذلك، يا زوجتي؟ انت تلتزمين بالقانون على نحو صارم في كل الظروف. لا تفسحين المجال لأي مفاوضات.» كان وجهه متجهما عندما نظر إليها.

قالت وهي تتلعثم في كلامها: «إني لا أفهم كلامك.»

هز الان كتفيه: «لا يهم.» توقف برهة. «سأذهب الى نادي القرية لبعض الوقت، إذا كنت لا تحتاجين الى مساعدتي. سترتاحين من رفقتي لساعة أو لساعتين.»

«شكرا لك. اعتقد ان ليس لديك أدنى فكرة متى ستصبح سيارتك جاهزة؟»

تصلب وجهه وأجاب: «ليس بعد. ربما ستأخذ بعض الوقت.»

قالت بصوت جامد وبداها مثبتان على جانبيها: «اتمنى ان يسرعوا... ان ينتهوا من تصليحها.»

أرجع رأسه الى الوراء، ونظر إليها: «أنا ايضاً، يا

سيدتي. ربما بعدها نستطيع ان نعيش بسلام.»
جرحها صوته القاسي.
كانت على وشك ان تنطق باسمه، لكنه اغلق الباب وراءه بعنف وذهب.

الفصل العاشر

لم تنم فيليبا تلك الليلة جيداً. كانت تتقلب طوال الوقت على فراشها بتململ، تنتظر عودة آلان، لم تستطع عندما تركها ان تطرد صورة وجهه من ذهنها. كما لم تستطع ان تنسى ايضا كم كانت متلهفة لأن تركض خلفه... لتطلب منه البقاء. ماذا كنت سأحرز؟ سألت نفسها، وهي تضغط على الوسادة بشدة، سوى الأسى.
عاد آلان في وقت متأخر من المساء. سمعت صوت الباب يُغلق ثم صدى خطواته وهو يرتقي السلالم بهدوء.
تجمدت في مكانها وحملقت في الفراغ وانتظرت بتوتر. اجتاحت جسدها موجة من الخوف والإثارة عندما توقف أمام غرفتها. لو فتح الباب ودخل، ماذا ستقول له؟ وماذا ستفعل؟
تضاربت هذه الاسئلة في ذهنها لكنها لم تستطع ان تجد لها جوابا. ثم سمعته اخيرا يسير بعيداً ويفتح باب غرفته ويغلقها. تنفست ببطء مرة ثانية وسمحت لجسدها بالاسترخاء من جديد.
لقد هربت مرة أخرى، لكن ليس منه بل من نفسها. عرفت ذلك وهي تنقلب على بطنها وتدفن وجهها في الوسادة. يا للهول، يجب ان أكون حذرة...

غفت بشكل متقطع، واستيقظت باكراً. ارتدت ثيابها ونزلت بهدوء وهي تحمل صندالها حتى لا توقظ آلان. اعدت بعض القهوة ثم توجهت الى المحترف مباشرة. كان عملها في اليوم السابق غير واعد كما تتذكر. أعادت ترتيب الطاولة مرة ثانية، وأحضرت كرسيا وسكينا من المطبخ.

أرادت ان تبدو الطاولة اكثر حيوية... وكأن شخصا كان يعمل في اعداد الخضر عليها. لكنه دفع بكرسيه الى الوراء ونهض لسبب ما.

تراجعت خطوة الى الوراء وهي تهز رأسها ثم وضعت المسند وأعدت لوحة خلط الألوان. بدأت تعمل بتوتر شديد وكادت ترمي الطلاء على القماش، وهي تحاول ان تتخلص من تشنجها وشكها.

هذه هي الحياة التي اختارتها، وعليها ان تستغلها الى أقصى حد. كانت ترفض دور السيدة دي كورسي، الذي لعبته سابقا على نحو غير ملائم وغير ناجح. وعليها ان تتعلم الرسم بكفاءة حتى تكسب رزقها، وهذا ما كانت تنويه دائما. لكن مرض كيفين وقف عائقا أمامها، بكل نتائجه المشؤومة.

تنهدت فيليبا بصمت. ربما ستستطيع يوما ما ان تنسى أنها كانت زوجة آلان دي كورسي. لم يدم زواجهما إلا بضعة أشهر، وليس عمرا كاملا. عليها ان تشفى منه.

هي الآن في المرحلة الأولى من الشفاء، بعد ان

تركته. لم يكن يتوجب عليه ان يلحق بها، ويتحدث عن شهر العسل... والأولاد. كان ساخرا... وحقيرا عندما أدرك انهما لم يشتركا في زواج حقيقي... ابدا. عندما لم يحبها.

وجدت نفسها تتساءل كيف سيكون الأمر لو أنها والآن التقيا لتوهما... لو أنها كانت ترسم، وتعطلت سيارته، وتعارفا بطريقة ما.

اوقفت تسلسل أفكارها على نحو مفاجيء. لو كانا غريبين، لكان آلان تجاوزها دون ان يعيرها حتى نظرة واحدة. كانت آخر امرأة في العالم يتوقع ان يقع اختياره عليها. ربما كانت ستكتسب بريقا سطحيا، لكنها مازالت في الواقع الفتاة التافهة الشاحبة التي رآها في شقة لاودن في أول لقاء لهما. إنها ليست فقط ساذجة، اعترفت بحزن، بل باردة أيضا.

اجفلها وصول آلان الصامت الى المحترف وكادت ان تصرخ. قالت: «هل كان من الضروري ان تزحف الى هنا بهذه الطريقة؟»

قال بهدوء: «دخلت بشكل طبيعي. كنت مستغرقة في التفكير لدرجة أنك كنت غافلة عن أي شيء آخر.»

«آه.» تورد وجهها قليلاً، وكانت شاكرة لأنه لم يكن لديه أي فكرة عن فحوى أفكارها.

«لقد أحضرت لك بعض الحساء. لم تتناولي فطورك

بعد، ولن تقدري على العمل من دون طعام.» وضع الصينية على الطاولة.

شعرت بجوع شديد عندما وقع نظرها على حساء الخضر الشهي: «إني لا أعمل كثيرا في هذه اللحظة.»

«أين أصبح رسمك؟» وقف آلان الى جانبها، يتفحص باندهاش.

قالت: «ستنجح لو كانت مجرد تمرين دراسي... او علاج.» ثم اضافت بصوت خافت: «لكنها لا تعبر عما في داخلي... لا شيء مما أريد التعبير عنه. كالعادة... ناقصة.»

قال آلان: «اعتقد انك تقسين على نفسك. ستتحسنين بعد ان تاكلي. الجوع يجعل الإنسان يائسا.» تقدم من الطاولة وأخذ سكينا: «اخيرا وجدتها. لقد بحثت عنها في كل مكان.»

قالت: «إني آسفة.» فيما شعرت بقلبها ينبض بقوة وهو الى جانبها: «الآن، ارجوك ان تبقى في مكانك للحظة... كما أنت؟»

نظر حوله، وارتفع حاجباه: «لماذا؟» ضحك عندما رآها تضع بعض الخطوط العريضة على قماشها. «هل انت جدية؟»

«أكثر من أي وقت.» كان في صوتها الحاح. «قف هناك فقط ولا تتحرك، أرجوك.» عرفت الآن لماذا الصورة كانت تبدو فارغة. لأن آلان لم يكن

فيها. حاولت ان تستثنيه منها، وحاولت بدل ذلك ان تفرض شخصيته وحيويته من دون حضوره الفعلي. حينما وقف آلان قرب الطاولة، اتضح لها كل شيء. لكن لاحظت بعد ذلك انها أرادت ان ترسمه، منذ اللحظة التي رأته فيها في لاودن. كانت هذه أحد الاشياء التي خطرت على بالها. وربما ستكون فرصتها الوحيدة لأن تفعل ذلك.

كانت ترسم وتحتسي، بين الحين والآخر، حساءها البارد بناءً على طلبه. جعلته يتخذ أوضاعا مختلفة، وقوفا احيانا وجلوسا احيانا أخرى. كان يبدو فرحا، لكن مرتبكا بالتاكد، ومع ذلك استجاب لها. قال وهو يقطع الطماطم الى شرائح صغيرة: «اسمحي لي ان اشتري هذه التحفة الفنية بعد ان تنتهي منها. إني ارفض أن يراني زملائي، وموظفو شركة دي كورسي في هذا الوضع الحميم.»

«لا تتحرك... أدر رأسك قليلا. هذا رائع. والآن، إثبت في مكانك.»

تنهد: «حاضر يا حبيبتي. انتِ مجنونة، هل تعرفين ذلك؟»

ربما، فكرت فيليبا. ولكنني أشعر فجأة بالنشاط، وأنا متاكدة بأنني سأنجح. كان آلان طوال الوقت، حتى في باريس، يجول بينها وبين الصورة التي كانت تحاول ان تنقلها الى لوحة. حاولت كثيرا ان تقاوم وأن تطرده من مخيلتها، لكنها عرفت الآن

ان عليها ان ترسمه وتجعله النقطة الأساسية في لوحتها على الأقل.

ربما ستستطيع بهذه الطريقة ان تتخلص منه الى الأبد. حاولت العمل بنوع من اليأس على وضع اللمسات الأخيرة، والآن جالس، ووجهه الداكن مصمم على إنجاح مهمته كما رأته في الليلة السابقة.

مر الوقت بسرعة، ولم تلاحظ ذلك حتى قال اخيرا:«يا عزيزتي، بعيداً عن هذا التشنج الذي أحاول ان اتحمله من أجل الفن، ما لم أتحرك وبسرعة، لن يكون هناك عشاء.»

اعترفت بأسف:«لم أفكر بذلك. كان يجب عليك ان تأخذ بعض الراحة. إني آسفة.»

«لا تعتذري. إني متأكد أن هذا الشقاء سيفيدني.» وقف وتمطى.

عضت فيليبا على شفتها وهي تراقب حركاته العفوية الرشيقة. قالت وهي تتلعثم قليلا:«هل لك ان تجلس لي مرة ثانية غدا... أرجوك؟»

رمقها بنظرة تساؤلية صادقة ثم هز كتفيه:«إذا كانت هذه رغبتك.» بالتأكيد، فكرت. ربما هذا جنون، ولكن هذا ما أريده أكثر من أي شيء في العالم.

وقفت وهي تحدق الى المسند بعد ان ذهب. مازال الوقت باكرا حتى تحكم على اللوحة، ولكنها ستكون

شيئاً يبعدها عن حقيقة انهيار زواجهما، شيئاً يذكرها به.

تقلصت معدتها من كثرة الألم. شيء تعذب به نفسها خلال وحدتها الأزلية، فكرت بحزن وهي تنظف الرسم بالفرشاة.

* * *

أعد لحم بقر بالخل الأحمر لعشاء تلك الليلة. تحدثا خلال الوجبة بتهذيب كالغرباء، وبعد ان انتهيا، نظفت فيليبا الطاولة وغسلت الاطباق.

عندما عادت الى الطاولة، كان آلان يسكب لنفسه بعض العصير ويحدق في رقعة الشطرنج. قال:«هل تتفضلين وتشاركينني؟»

«العصير أو الشطرنج؟»

هز كتفيه:«الاثنان.»

سحبت فيليبا كرسياً مرحبة بكوب العصير الذي قدمه لها. وقالت:«لم اعرف انك تلعب الشطرنج.»

توقفت على نحو مفاجيء. يبدو ان كل ما قالته كان يهدف الى لفت انتباهه لغرابتها التامة، ومع ذلك لم تكن هذه نيتها.

قال بعد برهة قصيرة:«أنا استمتع بحل مشكلات هذه اللعبة. بخلاف مشكلات الحياة العادية، فيها قوانين وأساليب.»

«نعم اعتقد ذلك، كنت ألعبها مع كيفين كثيراً.»

ابتسم لها:«اتمنى ان يكون قد علمك جيدا.»

«بشكل كاف، لقد قهرت العديد من الاشخاص. ربما انت لست بارعا كما تظن.»
بدا متحمسا:«مشادة كلامية! ما رأيك لو نجعلها مباراة حامية وذلك بوضع رهان بسيط.»
سألت بارتياب:«أي نوع من الرهان تقصد؟»
لمست إحدى قبضتيه بعد ان بسطهما لها واكتشفت أنه حاز على الحجارة السوداء.
«إذا خسرت، سأستمر في تحضير الطعام.»
«وإذا ربحت؟»
«عناق واحد.» تأرجحت يده فوق رقعة الشطرنج وهو ينتظر حركتها الأولى. والتمعت عيناه الخضراوان بالتحدي. «اتفقنا؟ أم، ربما لست واثقة من قدرتك؟»
رفعت فيليبا ذقنها:«عندي ثقة تامة في نفسي. أعتقد انك ستتعب كثيرا من تحضير الطعام قبل ان تعود إلى باريس.»
هز ألان كتفيه من دون مبالاة:«سنرى.»
«هل تنوين ان تحضري والدك فعلا إلى هنا بعد ان يخرج من العيادة؟»
«نعم، أعتقد ذلك. كنا دائما سعيدين هنا.»
«وهل اعتقدت ان بمقدورك استرداد هذه الذكريات؟» كان اهتمامه مركزا على رقعة الشطرنج.
«ولما لا؟»
هز كتفيه ثانية:«لا اعتقد ان باستطاعتنا ان نرجع

الماضي، وإذا كان الأمر ممكنا، سأحذو حذوك.»
«سترجع الى حياة العزوبية، من دون شك.»
«تماما.»
لم تتوقع منه الجواب، وتجمدت مستاءة ويدها ترتجف وهي تحمل حجر اللعب. قالت بنفور:«حسنا، ستصبح حرا قريبا. أو هل كنت تفضل لو أنك لم تتزوجني أبدا.»
قال بصوت ساخر:«بالتاكيد، يا عزيزتي. على كل حال، لم يكن زواجا بالمعنى الصحيح.»
تراجعت فيليبا في جلستها، وسألت:«لماذا إذا لحقت بي؟»
قال بهدوء:«لأنه، مهما كان الوضع غير مقبول، ان صفقتنا مازالت مستمرة.»
«التزمت بها من ناحيتي فقط.»
بدا مندهشا:«حقا!»
«كانت... غلطتك، لقد أفسدت كل شيء، عندما نكثت بوعدك.» أدركت ان كلامها يبدو سخيفا.
قال بسخرية:«معك حق. كنت متوحشا معك. أجبرتك على القيام بأشياء مزعجة. لكنني كنت غبيا عندما فكرت بأنه بوسعنا ان نجعل زواجنا... أشد ترابطا. ربما كنت تفضلين ان أحصل على توقيعك، قبل ان اتجرأ على لمسك.»
اخذت فيليبا نفسا عميقا:«كنت افضل لو أنك لم تلمسني ابدا.»

قال بلطف: «لقد جازفت في ذلك.»

«اتمنى ألا تتوقع مني أن أعتذر لك لأنني خيبت أملك.»

هز كتفيه غير مبال: «ربما علينا ان نعترف بأننا خيبنا آمال بعضنا البعض.» عضت فيليبا على شفتها: «هذا استسلام بالفعل. ألست خائفا من أن تشوه سمعتك كحبيب؟» ضحكت. «كلا، بالطبع... كم أنا غبية! هناك الباروتة وستساندك بالتأكيد.»

قال الان برقة: «أوه. حبيبتي ماري لور. هل أخبرك عنها؟ وبالتفاصيل ايضا؟»

التهب وجهها وصرخت: «كلا... هذا غير ضروري، شكرا لك.»

«تبدين وكأنك مهووسة بها، اعتقد انك ستجدين الحديث عنها ممتعا.» ونظر إليها.

اختلست نظرة الى رقعة الشطرنج، كان حاجباه مرفوعين. «على أي حال، لقد كنت صريحة معي بالنسبة لفابريس، أليس كذلك؟»

«الأمر مختلف، وأنت تعرف ذلك.»

التمعت عيناه الخضراوان: «حقا؟»

«نعم.» ودفعت كرسيها الى الوراء، ووقفت: «لا أريد ان اسمع عنها، او عن باقي نسائك. هل تستطيع ان تفهم؟»

«نعم. لكن هناك اشياء اخرى عليك ان تدركيها عني، يا فيليبا.»

قالت بتوتر: «اعرف ما يكفي. كنت مجرد وسيلة أليس كذلك؟ شيئا تستعملها ضد عمك، ثم تتخلى عنها في الوقت المناسب. وليس لي الحق بالاعتراض وهذا ما فعلته تماما عندما تركتك. وهذا شيء لا تستطيع ان تصفح عنه. ولذلك انت موجود هنا لتعذبني بهذه الطريقة.» اضافت بتوتر: «حسنا، لقد انتهت لعبتك الآن، وزواجنا ايضا. وليس بمقدورك ان تفعل شيئا حيال ذلك.»

ابتسم: «هل انت متأكدة؟ مازال هناك شيء واحد، وأنا احب ان أربح. إذا...»

امسك ملكته. قال برقة: «الملكة البيضاء اخذت الحصان الأسود رقم ٢، يا حبيبتي.»

اخذت فيليبا نفسا عميقا، وحولت انتباهها الى رقعة الشطرنج أمامهما. قالت: «لكن ذلك ليس صحيحا. لا يمكنك أن...»

«ان أقوم بهذه الحركة، يا عزيزتي. أنا متأكد بأنك سمعت بها.»

بالطبع سمعت بها. فتجنب هذا الخطأ الشائع بين اللاعبين المبتدئين، كان أول الاشياء التي علمها إياها كيفين ومع ذلك وقعت به مباشرة. صرخت: «أه، لا! لا أصدق!»

«الشطرنج يتطلب تركيزا، يا جميلتي. هل تريدين الانتقام مني؟ أو ان نبدأ لعبة جديدة... بشرط ثان، بالطبع؟»

قالت بلطف:«كلا، شكراً.» ونظرت الى ساعتها:«هزيمة واحدة تكفي. على كل حال، انا متعبة. الافضل ان أذهب الى غرفتي.»

قال بهدوء:«لحظة. بعد ان آخذ حقي.»

عضت فيليبا على شفتها. لم يكن يتوجب عليها ان توافق على الشرط، لكنها كانت متأكدة من فوزها، او على الأقل تنتزع منه التعادل. لكن الآن... ابتلعت ريقها. بدأت تقول:«لم نحدد الوقت تماما. سأعانقك عناق الوداع عندما ترحل.»

قال بسخرية:«إنني مرتبك. ولكنني اعتقد ان الشرط يجب ان ينفذ في أسرع وقت ممكن، أليس كذلك؟» دفع بكرسيه الى الوراء ووقف.

وقفت فيليبا ايضا. قالت وهي ترتجف:«الان، انتظر! لا اعتقد أنك عنيت ذلك.»

«هذا كان تفكيرا طائشا، يا جميلتي.» إقترب منها وطوقها بذراعيه. تجمد جسدها استعدادا للمقاومة، لكنه أحس بردة فعلها. قال بهدوء:«محاربتي، يا فيليبا، ليست تصرفا غير حكيم. إنه ليس سوى عناق، في النهاية.»

اغمضت عينيها. فقط عناق. كررت بصمت. فقط عناق. لكن متى كانت آخر مرة أحست فيها بمتعة عناقه؟ كان ذلك منذ وقت طويل... وكأنه دهر... كان عناقه رقيقا وناعما. هذا ليس عدلا. تملكت هذه الكلمات تفكيرها. كانت تفضل الإلحاح، أو

شيئاً من القوة... شيئاً يشعرها بالامتعاض. ليس هذا... السحر الناعم. شعرت بالسعادة وهي تحبس انفاسها. حاولت ان تقول لا. لكنها لم تطلق سوى تنهيدة صغيرة.

رفع الان يده وداعب شعرها حتى جعل خصلاته تلتف حول أصابعه. عانقها ببطء ثانية. لاحظت على الرغم من اضطراب تفكيرها ان بإمكانه ان يمدد هذا الإنتظار... هذه الرغبة... الى الأبد. لقد تعمد ان يجعلها تسأل وترجو هذه المرة. هل أجعلك تتوسلين إلي؟ لقد سألها ذلك مرة. شعرت بالذل والخوف. ربما سيطلب منها ان تدفع ثمن ذلك الرفض، وربما سيكلفها الثمن روحها. ببطء... ثبتها بحيث لم تعد عاجزة في عناقه، لكن واقفة في مواجهته بعيدا قليلا عنه. التقت اعينهما في استسلام غريب.

سألت عيناه. جاوبت عيناها. تحرك، الغى المسافة التي تفصلهما عن بعض.

توقف، وحدق بالباب وهو يعبس.

قال وكأنه يحدث نفسه:«هناك من يطرق على الباب...»

«سيد دي كورسي! انا مدام بيتون. لدي رسالة لك.»

تلاشت هذه اللحظات الدافئة بثانية. رفع الان حاجبيه:«لا بد ان لديك حارسا، يا زوجتي.»

صعدت فيليبا السلالم بسرعة، وأصابعها ترتجف مع أنها لم تر السيدة بيتون، وهي تدخل الغرفة.
كانت المرأة الطيبة مرتبكة وغاضبة:«سيد دي كورسي؟ لكن كيف ذلك؟ لقد فهمت انك السيد دي ثيري، عندما تحدثنا على الهاتف كان ذلك الاسم الذي سمعته.»
بعد برهة قصيرة، قال الان بهدوء:«أسف إذا كان هناك سوء فهم، يا سيدتي. انا فعلا الان دي كورسي، ولقد تم الحجز بواسطة... شريكي.»
«والآنسة روسكو... أين هي؟»
«سأناديها.» رفع الان صوته:«فيليبا، انزلي، يا عزيزتي. لدينا زائر.»
نزلت فيليبا السلالم بكسل. لقد ارتجفت كثيراً وكانت مدركة ان شعرها مبعثر، وتنفسها مضطرب. لكنها ابتسمت على الرغم من نظرة الان الساخرة.
«مساء سعيد سيدتي.»
«فيليبا الصغيرة!» بدت السيدة بيتون مندهشة. «لقد تغيرت كثيراً، يا صغيرتي! ما كنت سأعرفك.» احتضنتها بحنان. «وكيف حال والدك العزيز؟»
«بحال حسنة. اعتقد أنه سينضم إلي قريبا.»
صحح الان بلطف:«ينضم إلينا، يا عزيزتي. ألم يحن الوقت بعد لتخبري السيدة بيتون... أننا متزوجان؟»
اتسعت عينا السيدة بيتون وقالت:« لقد فاجأتني

أنت متزوجة؟ إذاً هذا شهر عسل، يا صغيرتي.»
نظر الان نظرة ساخرة باتجاه زوجته، حرك كتفيه وقال:«تقريبا. إنها عطلة عمل.»
اصدرت السيدة بيتون صوتا عبّر عن ابتهاج شديد:«عمل؟ لكن عندما يتواجد الرجل مع زوجته بمفردهما، عليهما ان يفكرا بسعادتهما فقط، أليس كذلك؟ يجب ألا تسمح لها بالعمل. لو كنت مكانها لاختلف الأمر، إني اؤكد لك ذلك.»
ابتسم الان بعبث:«انت تحرجينني، سيدتي. هل تودين تعزيتي، ربما؟»
«لست بحاجة، بوجود عروس فتية إلى أي تعزية.» ثم تنهدت بصوت عال:«لو كنت اصغر بعشرين سنة...» دفعته بمرفقها بطريقة وقحة. قالت اخيرا وهي مازالت تهتز من الضحك:«لكنني نسيت مهمتي. اتصل بي السيد بارتان من المرآب. لقد عاد أخوه من بوردو مع قطعة الغيار. وسيركبها غدا.»
«رائع!» نظر الان الى فيليبا. «هذا ما كنا ننتظر سماعه، أليس كذلك، يا عزيزتي؟»
من مكان ما، ميت في داخلها، سمعت فيليبا نفسها تقول:«نعم.» نظرت السيدة بيتون إليهما. اضافت بحزم بعد ان رفضت دعوة الان لتناول القهوة او الشراب:«هذا حسن. لن اتطفل عليكما بعد الآن.» احتضنت فيليبا ثانية. أمرتها:«كوني

سعيدة، يا صغيرتي.» وهي تلوح بيدها مودعة.
خيم صمت عميق، حطمه آلان اخيرا: «قلت منذ لحظات إنك تودين الذهاب الى غرفتك. ربما من الافضل أن تفعلي ذلك.» ك
ان وجهه خاليا من أي تعبير.
«هل هذا ما تريده؟» لم تصدق أنها قالت ذلك فعلاً. أين كبرياؤها واحترام ذاتها؟
هزت كتفيه ثانية، قال بجفاء وهو يرمقها بنظرة تهكم: «ما اريده، هو ان أذهب بعيدا من هنا. في النهاية لم يكن سوى عناق، يا جميلتي.»
همست: «نعم، بالطبع.» استدارت وابتعدت عنه والدموع تترقرق في عينيها.

الفصل الحادي عشر

ساد الظلام كل مكان، يحوم حولها، ويخنقها. وكان ايضا في داخلها يزيد من آلامها ووحدتها. فقط عناق، انطبعت الكلمتان في ذهنها بأحرف من نار. هكذا اعتبرها الآن. كانت على وشك ان تمنح نفسها له، ومن دون تحفظ لأول مرة... وبرغم ذلك، هو مصمم على الرحيل غدا من دون ان ينظر الى الخلف.
كان من غير المجدي ان تُذكر نفسها بأنها هي التي أرادت رحيله... وألحت عليه بذلك ايضا. كانت تنوي بمجيئها الى هنا ان تفصل نفسها عنه نهائيا. وهو مستعد الآن لأن يحقق لها هذه الرغبة.
كان يجب ان يحصل ذلك، قالت لنفسها بحدة مرارا وتكرارا. لا يمكن لزواجهما ان يستمر وبشروطه هو. وهي غير مستعدة لأن تعيش على هامش حياته. تنتظر حتى يلاحظ وجودها، إذا كان عنده وقت. وعندما ينفصلان، لن يكون عندها أي شيء تؤنب به نفسها ا و تتذكره بخجل.
لم تجد له أي أثر عندما تجرأت اخيرا، ونزلت في الصباح. فكرت للحظة أنه ذهب من دون ان يودعها. ولكنها، بعد ان تفحصت غرفته، ووجدت ثيابه، عرفت أنه ما زال هنا. لا بد أنه في مونتاسكو

يراقب تصليح سيارته. اخذت قهوتها الى المحترف واستعدت للعمل.

نظرت إلى لوحة الآن طويلاً، ربما كانت سطحية، ولكنها أفضل ما انجزته. ربما لأنها تنظر إليها بعيني الحب، فكرت بحزن.

سمعت صوت السيارة بعد ساعة. وثب قلبها من مكانه وبدأت تعدل من إشراقة اللوحة بتركيز عنيف.

وأخيرا صعد ووقف أمام الباب.

قالت بهدوء:«هل أصلحت السيارة؟»

«تقريبا.»

بدلت مكان المسند وقالت:«اعتقد أنك سترحل الآن؟»

قال:«بعد قليل. اعتقدت انك تريدينني لجلسة أخرى.»

هزت فيليبا كتفيها:«لا أريد ان اسبب لك أي ازعاج.»

«على الاطلاق.» ومشى الى جانبها ونظر الى القماش. «هل ينقصها الكثير؟»

قالت:«ليس مع نشاط كهذا. باستطاعتي ان أنهي الباقي من ذاكرتي، إذا اضطررت. «كم ذلك صحيح!

قال بوجه ساخر:«فهمت. لم أكن عادلا معك، يا زوجتي عندما حاولت منعك من متابعة دراستك، لديك موهبة حقيقية. اتمنى ان تطوريها الى اقصى

حد.» كانت ابتسامته ودودة ولكن مؤلمة:«هل يمكن لي ان اشتريها؟»

اومأت برأسها:«إلا هذه. لأنني استحق بها لقب رسامة. انا متأكدة انك تفهم.»

قال:«لا اعتقد ان التفهم كان له دور كبير في علاقتنا. ولكنني أعدك بالمحاولة.» توقف برهة:«ماذا عن آخر جلسة؟ هل تريدينني إن اخلع قميصي؟»

تنهدت فيليبا. بدا صوته عاليا في هذا المحترف الهادئ.

حاولت ان تبتسم:«انت... انت لا تعني ذلك، بالتأكيد.»

«ولم لا؟ ستكون تجربة جديدة لي... كما لمعظم الرجال... عندما أخلع قميصي لإمرأة ليست مهتمة سوى بتركيب الضوء والظلمة والمسطحات والزوايا.» نظر إليها نظرة ساخرة:«أليس كذلك، يا حياتي؟»

«حسنا... أجل. بالتأكيد...» كان قلبها يخفق بجنون.

«إذا لماذا لا تطلبين مني ذلك؟» توقف لبرهة. «او انك لا تجدينني مهتما بشكل كاف؟ ربما تشعرين انك تعرفينني جيدا؟»

يا للهول، فكرت بطريقة هستيرية، لم تعرفه ابدا. ليس بتلك الطريقة. استطاعت ان تطلق ضحكة:«إنك... تفاجئني.» اضافت بضعف:«لكن

إذا كان عرضك جدياً، يا آلان، علي عندئذ ان اقوم ببعض الرسومات التمهيدية لك. إنني بحاجة الى التمرين.»

«يبدو أننا نفاجئ بعضنا البعض طوال الوقت.» نظر حوله: «اعتقد انك تفضلين ان نبدّل المكان؟»

ابعد الطاولة قليلا ثم رتبا منصة بديلة عن العلب وبعض الستائر الذهبية. اكتشفتها فيليبا في حقيبتها في اليوم السابق، أمضت بعض الوقت وهي تثني القماش المطرز حتى تجعله مناسبا وهي تشعر كأنها في عالم من الأوهام. فكرت، من غير المعقول ان افعل ذلك او ان اسمح به. لأنني لا استطيع ان أكون موضوعية. وأن اعتبر ذلك تمرينا مفيدا.

استدارت بعيداً، وأخذت لوح الرسم بيدين مرتعشتين. لم يسبق لها ان رأت آلان بوضع كهذا. ليس تماما. كانت محرجة جدا وغاضبة في أول لقاء لهما، ومنذ ذلك الحين. ستكون هذه لحظة صدق بالنسبة لها. ادركت ان هذه اللحظة قد حانت عندما قال: «إنني جاهز.»

استدارت ببطء لتواجهه. كان رائعا. لا يمكن ان تصفه بكلمة اخرى، يداه على ركبه، ورأسه مرتد قليلا الى الوراء. تحمّل تفحصها المدهش والمفرط.

«هل ستبدئين برسمي، يا جميلتي، ام تضعيني في ذاكرتك؟»

بدأت بوجه متورد: «آه، اجلس من فضلك... بشكل جانبي. أخفض كتفك. لا، كثير.»

«الأفضل لو ترشديني بنفسك.» ترددت لحظة ثم اقتربت منه، تضع يديها على كتفيه الدافئتين، وتبدّل جلسته بشكل ملائم، تستمتع بنعومة بشرته، وبقوة عضلات ظهره وذراعه.

قالت: «اخبرني هذه المرة عندما تشعر بالتعب او... بالبرد.»

قال على نحو مقتضب: «او حتى الدف». هل تعرفين شيئا، يا عزيزتي؟ اعتقد ان هذه هي أول مرة تلمسينني بها بمل، إرادتك.»

سحبت فيليبا يديها بسرعة قالت: «تذكر وضعك، ارجوك.» ثم عادت الى لوح الرسم. كانت بدايتها سيئة، وراحت تطرح ورقة وراء ورقة.

سأل الان اخيرا: «هل من خطب؟ تبدين منزعجة، ربما من الافضل ان ارتدي ثيابي، وأجد لك إناء زهور.»

عضت على شفتها: «كلا، شكرا. ربما كان وضعك خاطئا.»

جلس آلان وهو يهز كتفيه: «يمكن معالجة ذلك بسهولة.» استند رأسه على مرفقه وثنى قدما واحدة. «هل هذا أفضل؟»

اقرت مكرهة: «نعم.»

بدا مسترخيا تماما، وكأنه كان يمارس العرض طوال حياته.

فكرت: اتمنى لو أكون بهذه الجرأة. حاولت ان تتظاهر بعدم الاكتراث وهي تتفحصه وتلاحظ خطوط جسده المتناسقة. في الوقت نفسه، لاحظت ان هناك شيئا مميزا يوضعه... شيئا توقعيا وجارحا. كان هذا باديا في ابتسامته، وعينيه. كانت مثيرة... وغامضة. لم ترتبك ولم تتلاعب بالخطوط. هذه المرة كانت يداها وعيناها تعملان بتناسق تام. عليها ان تنجح، فكرت بحماس. لا يمكنها ان تخسر. ليس الآن.

«هل يمكنني ان آخذ قسطا من الراحة؟» افترض موافقتها. جلس الآن وأمسك رداءه.

وضعت فيليبا ريشتها، وأحست بتشنج عضلات كتفها وعنقها.

«هل تسمحين لي برؤيتها؟» وقف الآن الى جانبها.

قالت بصوت أجش: «عندما تنتهي.»

وضع يديه على كتفيها وبدت لمسته لاذعة، وحافلة بذكريات الليلة السابقة، فكرت بتململ. «حان وقت استراحتك ايضا.» داعبت أصابعه كتفيها. «جسمك بحاجة الى الاسترخاء.» بدأ بتدليك عضلات عنقها وكتفيها بلطف اولا ثم بقوة. حاولت ان تنسحب: «إنني بخير، حقا.»

قال: «كفي عن ذلك. دعيني أقوم بذلك.»

استسلمت لخدماته بتنهيدة عميقة. كانت لمسته سحرية، حميمة، وموضوعية بطريقة غريبة. لكن

كانت حركاته العنيفة، تزيد من التشنج والتوتر في كل مكان من جسمها. كيف باستطاعتها ذلك، وهأ هي تتجاوب وتتنعش مرة ثانية تحت لمسته. شعرت بأصابعه تنزلق ببطء على كتفيها. «كلا!» حاولت ان تبعد يديه.

قال: «اهدئي. ثقي بي.» تراقصت شرارات صغيرة وراء اجفانها المطبقة.

ثقي بي، هذا ما قاله، ولكن الخيانة كانت مرة ثانية تصدر من ذاتها. من الحاجة إليه.

فجأة انتهى كل شيء. توقفت يداه الدافئتان عن وخزها وتحرك بنشاط. امسك لوح رسمها، والقلم وناولهما لها. «هل نتابع؟»

حدقت فيليبا باللوحة حتى اصبحت الخطوط تتراقص أمامها. كانت ترتجف لدرجة أنها لم تستطع ان تمسك بالقلم، وكان فمها جافا. كانت تلتهب، وكأنها مصابة بحمى. توسع التوق الذي في داخلها الى ألم وحنين، لا يمكن إنكارهما بعد الآن.

اوقعت لوح الرسم على الأرض ووقفت، واقتربت منه. لم يتكلم الآن او يتحرك، لكنها سمعت صوت انفاسه وهو يراقبها. جثت على ركبتيها الى جانبه.

«الآن؟» كانت ترتجف «إني اتوسل إليك!»

«هل اجعلك تتوسلين إليّ؟» لقد اجابت الآن على سؤاله باستسلام تام. حملها عن الأرض وأجلسها

على المنضدة. بدت عيناها واسعتين وغير واضحتين وهي تنظر إليه. كانت حواسها تضعف، وتغرق في بهجة متموجة ودافئة حملتها الى أرض الاحلام.
كانت راضية من النتيجة ومن نفسها. لقد استسلمت له اخيرا. لكن أحست بالسعادة لأول مرة. فتحت فيليبا جفنيها، ووجدت نفسها مستلقية على منضدة ذهبية. شعرت للحظة وكأنها فاقدة الحس، وأنها كانت نائمة تحلم. عندما اصطدمت بالواقع ورأت حقيقة عالمها الذهبي، بدأت تتذكر...
كانت شمس فترة ما بعد الظهر تتدفق من خلال نوافذ المحترف تنير كل زاوية، وكل شق بضوء دافئ.
كانت فيليبا ممددة على الأرض. جلست ببطء، ودفعت شعرها بعيدا عن عينيها تستوعب، تستكشف ما حولها. بدأ احساسها بالكسل يتلاشى، تساءلت، أين الآن؟ أرادته بقربها عندما تستيقظ أرادت ذراعيه حولها. ربما اتعبته. فكرت وهي تشعر بالذنب والايتهاج. لا تعرف كم من الوقت مرّ. لم تتصور ابدا حتى في اسوأ احلامها، ان بإمكانها ان تصل إلى هذا العمق. لا بد ان الآن قد ذهب ليجد مكانا أكثر راحة لينام.
كان لوح الرسم مرميا على الأرض، التقطته فيليبا ونظرت إليه مبتسمة. لن أنهي هذا، فكرت، سوف أحفظه، في مكان ما حتى يذكرني دائما

بهذا اليوم، بداية حياتي الباقية مع الآن.
حملت اللوح بين يديها، ونظرت نظرة أخيرة الى المحترف قبل ان تذهب الى الطابق الأرضي.
توقعت ان تجده في الغرفة، ورائحة قهوته منتشرة في كل مكان. لكن الغرفة كانت فارغة. لم يكن هناك أي صوت في البيت. في الواقع لا أثر لأي حياة. إذا لا بد أنه نائم.
وضعت فيليبا لوح الرسم على الأرض وصعدت ثانية. دفعت باب غرفة الآن ووقفت للحظة، تحاول ان تستوعب ما رأته. كانت الغرفة مهجورة، فارغة، والسرير مرتبا. امسكت مقبض الباب بطريقة ألمت أصابعها من كثرة الشد.
سمعت صوتها يرتجف ويقول: «لا... ارجوك.... لا.»
لكن لا جدوى من الانكار. لقد ذهب الآن من دون أي شك... كما وعدها ان يفعل. كل ما حدث بينهما، كل هذه البهجة المخفية والمربكة لم تؤثر على قراره.
نزلت السلالم، وفتحت الباب بعنف، لم تجد أي أثر لسيارته، أحست فجأة بدوار وهي تجثو في المدخل. بدا دفء الشمس على وجهها، وكأنه يسخر منها الآن. أرادت ان تبكي، لكن لم تسعفها الدموع. كيف بإمكانه ان يرحل من دون ان يكلمها، حتى كلمة واحدة. نعم، لقد اتفقا على الانفصال، لكن

كان ذلك من الماضي. ألم يلاحظ كم تغيرت؟ وكيف تشعر الآن؟

الحقيقة المرفوضة واجهتها...لقد لاحظ بالتأكيد، لكنه لم يبال. ربما هو معتاد على هذا النوع من التجاوب مع نسائه. الحب بالنسبة إليه شيء فارغ. كما أفهمها مرارا، لقد امتلكها، هذا كل ما في الأمر.

لقد استمتع ايضاً بانتصاره، فكرت بحزن. استمتع بانهيارها ودمر كل مقاومتها. أحب ان أربح، أخبرها بذلك ليلة البارحة. وقفت ومشت الى الطاولة، هذا ما رأته في لوحتها، لكنها لم تلاحظ من كثرة ارتباكها. لقد تلاعب بها بشكل مثير للشفقة! أمسكت اللوحة ومزقتها حتى دمرت نهائيا. ثم جمعت اجزاءها ووضعتها في الفرن وراحت تراقب، والنار تلتهمها. كانت تحترق هي ايضا... بتذلل وندم. ألم تنل ما يكفي من التحذيرات؟

عليها ان ترحل هي ايضا. لا يمكنها ان تبقى هنا في هذا البيت والذكريات تطوقها من كل مكان. عليها ان تجد بيتا في مكان آخر، وتنظم حياتها من جديد قبل ان يعود كيفين. ستحزم حقائبها وتتوجه الى مونتاسكو، وتركب أول قطار الى أي مكان.

عليها ان ترتب المحترف اولاً، فكرت. لا يمكنها ان تأخذ معها كل معداتها. ستبقي البعض

منها هنا. ربما سترجع يوماً ما لإحضارها. اقتضى منها بعض الوقت حتى نقلت أغراض الرسم من المحترف الى الطابق الأرضي. كانت المسند ثقيلا ووجدت صعوبة في حمله، لكنها كانت مسرورة لأنه جعلها تركز على عملها وتنسى الآن قليلا.

تركت أقمشتها غير المستعملة. وضعت لوح الرسم والطاولة في إحدى الزوايا وغطتها بشرشف سميك.

كانت على وشك ان تصعد الى غرفتها وتوضب ثيابها عندما سمعت صوت سيارة. توقفت وهي تحملق في الباب المفتوح.

سيارة الآن، فكرت وعضلات حلقها تتقلص على نحو مؤلم. لا يمكن ذلك. لا بدّ انها تهذي. لقد ذهب الآن ولن يرجع.

راقبته مذهولة وهو يترجل من السيارة، يعبر ساحة البيت الى الباب. لم تعرف سبب رجوعه، ولم ترد ان تعرف. لن تستطيع مواجهته... لا تستطيع ان ترى علامة الانتصار في عينيه، او الشفقة. حاولت ان تغلق الباب، لكن الآن سبقها ودفعه بكتفه بعنف، سألها: «هل انت مجنونة؟» وهي تتراجع عنه بعيداً. نظر حوله ورفع حاجبيه: «لماذا كل أغراضك هنا؟»

«لأنني راحلة. وسأرسل عنواني الى محاميك بعد أن أستقر.»

ردد وراءها ببطء: «محاميك بعد ان... تباً، عما تتحدثين؟»

رفعت ذقنها: «الطلاق. ألم نتفق على ذلك؟ لا داعي لقول المزيد، لمَ عدت؟»

بقي صامتاً للحظة. بدا وجهه شاحباً ثم ابتسم. قال: «حسناً، كما تريدين يا سيدة. لن أضيف شيئاً. اعتقدت بأن علينا ان نودع بعضنا البعض. لكنني لن اؤخرك أكثر.»

تجاوزته فيليبا، وصعدت السلالم الى غرفتها. فتحت الباب ووقفت. كانت الفوضى تعم الغرفة، وكأن لصاً قد دخل الغرفة. ثم وببطء أدركت سبب هذه الفوضى.

صدمت لأن ما رأته كان ملابس الان. وجالت بنظرها على قمصانه وكنزاته وحقيبته الجلدية وكل اغراضه المبعثرة على السرير.

سمعت خطواته، واستدارت ببطء. كان وجهه خالياً من أي تعبير. قال باتزان: «إني آسف، لقد تصرفت بوقاحة، ربما من الافضل ان أحزم اغراضي اولا.»

كان يهم بالمرور أمامها، فأمسكت فيليبا بذراعه، سألت بصوت أجش: «لماذا وضعت اغراضك في غرفتي؟»

«هل أنت بحاجة إلى هذا السؤال حقاً؟» ثم أضاف بصوت قاس: «لأنني فكرت... وتمنيت ان أنام هنا

اخيراً.» ضحك: «كم كنت غبياً! لم تعن لك شيئاً هذه الأمور التي تشاركناها منذ ساعة او ساعتين.» ابعد يدها عن كتفه. «لا تلمسيني.»

«الان، لا، أصغ إليّ.» امسكت قميصه: «اعتقدت انك رحلت وأنك هجرتني الى الأبد. قلت انك ستفعل ذلك بعد ان تنتهي من تصليح السيارة. لم أرك عندما استيقظت ولم أبحث هنا، لم أعتقد...» اخذت نفساً عميقاً. «كنت تعيسة جداً. أردت الموت. ولهذا كنت راحلة لأنني لا اتحمل ان ابقى هنا بمفردي.»

بدا الان غير مصدق، لكنه لم يبعدها: «أتركك؟ هل حقاً تعتقدين ذلك؟» هز رأسه: «لا، يا حبيبتي، لم أنو ذلك ابداً على الرغم مما قلته. حتى من دون تدخل السيد دي تيري، كنت سأجد عذراً ما لأبقى، وأحقق ما جئت من أجله.»

همست: «ما هو؟»

ابتسم: «انت، يا زوجتي الصغيرة. جسدك، قلبك وعقلك العنيد.» امسك يديها، ولاحظ أنهما يرتجفان. تابع: «فيليبا، لا تتظاهري بعد اليوم. انت تعرفين أنني أحبك. هل تبقين هنا معي ونمضي شهر عسل من جديد؟ ونبدأ زواجنا على أساس الحب والصدق؟»

«الان انت الذي يتظاهر. انت الذي لا يريدني. بل تريد البارونة. أنا لا استطيع ان أتحمل مهما كنت أحبك. هذا كثير عليّ.»

قال بلطف:«لم أكن ابدا مهتماً بماري لور. عندما التقيتها أول مرة وجدتها مغرية، كانت تجربة مثيرة، هذا كل ما في الأمر.»

همست:«كيف يمكنك ان تقول ذلك؟ لقد رأيتكما معا في الحفلة، على الشرفة. انت تعلم ذلك. كنت تعانقها...»

«كلا.» عانقها وداعب شعرها. «لقد انتهى كل شيء بيننا منذ وقت طويل. هي التي لحقت بي ورمت بنفسها عليّ. وفي تلك اللحظة عرفت...»

قالت بصوت ينم عن تهديد:«عرفت ماذا؟»

قال عابسا:«أنها استؤجرت مثل صديقك فابريس من قبل عمي.» نظر الى عينيها وهز رأسه:«انت تجدين الأمر صعب التصديق. وأنا كذلك... في البداية. التقيت بتلك المرأة مصادفة. أوضحت لي انها تريدني. وأنا صدقت كل ما تريدني هي ان أصدقه.» ابتسم بسخرية:«اصابتني الصدمة عندما انتشرت الفضيحة. لم أكن الرجل الأول في حياتها. كان كل شيء مرتبا بطريقة ما. قمت ببعض التحريات، واكتشفت أنها كانت غارقة في الديون. كان البارون رجلا غنيا، لكنه لم يكن كريما، وكانت هي تحب المغامرة. كانت السلاح المثالي لعمي. لذلك انهيت علاقتي بها...» توقف قليلا ثم استطرد:«كان لديّ بالطبع العذر المثالي كنت عازما على الزواج.»

«فهمت.»

«كلا. لم تفهمي ابدا، يا زوجتي.» داعب وجهها بيده. «اوقفت كل علاقاتي منذ تلك الليلة في لاودن حيث رأيتك لأول مرة. ألم تعرفي ذلك؟»

«وكيف لي ان اعرف؟ لم أكن جميلة ولم أكن انتمي لعالمك...»

سألها بنعومة:«لست جميلة؟ انت لا ترين جيداً بالنسبة لفتانة. وما يعرف العالم الذي أنتمي إليه عن إخلاصك وحبك؟ وجدت نفسي أفكر الليلة بأنك لا تهتمين سوى بوالدك او أنك ستفكرين يوما ما بي. لم أكن أصدق ما كان يحدث لي. عندما كنا في الفندق، كنت حائرا اسأل نفسي، ماذا عليّ ان افعل، إذا لم تأتي إلي، مع أنني كنت اعرف بأنني سألاحقك أينما ذهبت.»

نظرت الى عينيه، رأت ألمها وترددها منعكسين فيهما:«الآن...»

عندما رفع رأسه التمعت عيناه:«قولي بأنك تحبينني. قولي ذلك حتى تصبحين زوجتي بصدق هذه المرة. قولي بأنك لن تتركيني ابدا مرة ثانية.»

احتجت:«انت الذي كنت دائما ترحل. كنت دائما بمفردي في باريس. وتلك الليالي التي كنت تتغيب فيها عن الشقة...»

«هل اعتقدت انني كنت سأتحمل البقاء معك، أراقب كرهك لي ونفورك مني كلما حاولت التقرب منك؟ لم

ارد لومك على ذلك. كنت أنوي ان انتظر وأصبر. لكنني تصرفت كالوحش.» تأوه وأضاف: «لم اتجرأ على لمسك في لندن حتى لا اخيفك، ولكنني نسيت كل شيء في ليلة زواجنا بعد أن اصبحت ملكي. كنت أريدك بجنون، وكنت متأكداً من انني سأستطيع ان اجعلك تريدينني. بعد ذلك، كرهت نفسي. لم أنم طوال تلك الليلة. لم تفارق عيناك المجروحتين خيالي ولم أفكر سوى بأنني حطمت كل شيء بيننا الى الأبد. كنت أنام في الشركة. كان عليّ ان ابقى بعيداً لأنني لا أثق بنفسي. لكن كانت هناك أوقات احتجت فيها للمزيد، وكنت خائفاً من ان أصدمك او أشعرك بالاشمئزاز او أزيد الحواجز التي بيننا.»

«اعتقدت انك مع ماري لور. انت أوحيت لي بذلك.»

«حسناً، تساءلت إذاكان موقفي سيشعرك بالغيرة، وخاصة بعد ان لمست بعض الإهتمام. كان أملي الوحيد، قلت لنفسي. إذا كنت فعلا لا تبالين كما أوضحت، عندئذ فلن تؤثر علاقتي عليك. قررت ان اضللك قليلا، طبعا بمساعدة ماري لور، أعني بمحاولاتها لاسترجاعي.» أحنى رأسه وقبلها بلطف: «هل بإمكانك ان تسامحيني؟ لقد نلت عقابي إذا كنت قد جرحتك عندما فكرت بأنك واقعة في حب فابريس. عرفت معنى الغيرة الحقيقي ولاحظت ان استعمالي لماري لور كطعم أوقعني في فخ.

أصررت على التحرر مني حتى اتزوجها. وعندما حاولت ان أفسر لك وأخبرك بالحقيقة رفضت سماعي.»

«اعتقدت ان هذه رغبتك. الزواج من المرأة التي تحبها.»

«كنت أقصدك. أردت ان يكون زواجنا صادقاً، وأن نمضي بقية حياتنا معا، على أمل ان تقعي في حبي يوما ما.» تنهد: «اعتقد أننا لو انجبنا اولادا، واهتممت بهم، ربما كنت ستحبين في آخر الأمر والدهم. كنت يائسا جدا.»

اعترفت بصوت خفيض: «انا كنت يائسة ايضاً. ولذلك هربت، عندما فكرت اليوم بأنك هجرتني، أردت الموت.»

قال: «كنت غارقة في النوم ولم أشأ إزعاجك. فكرت في إنهاء مهمتي قبل ان تلاحظي غيابي.» تابع على نحو مقتضب: «اتصلت بباريس وأعلمت زملائي بأنني سأذهب في رحلة شهر عسل جديدة، ولا أريد ان يزعجني احد. أحضرت بعض الطعام ايضا. علي ان أحافظ على قوتي، انت تفهمين.» نظرت إليه بعيث: «حقا؟»

«سيكون عملي كعارض صعباً للغاية، خصوصاً إذا كنت مجبراً على إقامة علاقة مع فنانة.»

«آه.» وضعت يدها على فمها. «لقد تذكرت... لقد مزقتها... صورتك الجميلة.»

«سأتيح لك فرصاً اخرى، إذا شئت.» طبع قبلة على أنفها. «لا أنوي الابتعاد عنك هذا الاسبوع.»

«فقط؟»

«لا، سنسافر الى الولايات المتحدة لإحضار والدك وسيبقى معنا في فونتانبلو.»

«اتمنى ألا يصدمه خبر زواجي.» بدت قلقة.

«سيسامحنا عندما يرى سعادتنا.»

«هل سنكون سعيدين؟» «كثيرا.» وعانقها.

«ليس علينا سوى ان نأكل، نشرب، ونستمتع باشعة الشمس، وببعضنا البعض.»

ذكرته بابتسامة: «علَيّ ان أرسم ايضاً. سوف أنقل اغراضي الى المحترف مجددا.»

«لاحقا.» امسك يدها، وتابع: «بعد ليلة زواجنا.»

قالت: «لكنها انتهت منذ عصور.»

«خلاف ذلك. ستبدأ الآن، وستستمر الى الأبد. هل انت موافقة؟»

«نعم يا حبيبي.» نظرت فيليبا الى عيني زوجها بمحبة وثقة.

تمت